

أمة الأدب  
١

الخطبة

بقلم

خليل مردم بك

عقب بشره

مكتبة وفاء

رقم : ١٣٤٩

١٣٤٩ هـ

١٩٣٠ م



هذه رسالة في امام الادب ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،  
تتلوها رسائل في غيره من ائمة الادب ، فنستعين الله ونستهديه .  
خليل  
مردم بك



# المجاحظ

المتوفى سنة ٢٥٥

مباني

في ابن عصر من عصور المدينة الإسلامية، وفي البصرة  
أحدى حواضر العلم والأدب ولد أبو عثمان عمرو بن بحر المجاحظ .  
كل من ترجم للمجاهظ لم يبين سنة ميلاده وإنما المعروف  
أنه ولد في منتصف القرن الثاني ، إلا أن هناك رواية انفرد بها  
ياقوت الحموي في معجم الأدباء قال : « قال المجاحظ أنا ابن من  
أبي نواس بسنة ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها »  
فإذا صححت هذه الرواية يكون المجاحظ قد عمّر أكثر من مائة سنة  
لأنه توفي سنة خمس وخمسين ومائتين .

أما نسبه فلا نعلم منه إلا أنه عمرو بن بحر بن محبوب الكناني  
بالولاء . كان جده محبوب أسود وجمالاً لأبي القلمس عمرو بن قلع  
الكناني ثم الفقيمي ، وبذلك قال يموت بن المزرع ابن اخت  
المجاهظ . على أن هناك من يدعي أنه كناني صريح مثل أبي القاسم  
البلخي . أما سبب تسميته بالمجاهظ فلجحوظ عينيه .

نشأ الجاحظ بالبصرة نشأة فقير يعمل ليعيش فقد روي عنه انه كان يبيع الخبز والسمك بسيحان ( وسيحان نهر بالبصرة ) ثم انصرف الى العلم والادب فطابها في البصرة وبغداد . تلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد ، وسمع من ابي عبيدة والاصمعي وابي زيد الانصاري ، واخذ النحو عن ابي الحسن الاخفش وكان ضديقه ، واخذ الكلام عن النظام ، وكل من هو لاء امام في فنه . وكان الجاحظ مشهوراً بكثرة المطالعة ، قيل انه ما وقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كأننا ما كان ، حتى انه كان يكتب دكا كين الوراقين ويبيت فيها للمطالعة .

وكذلك انقطع للعلم والتأليف فأصبح فيها علماً وشاع ذكره واقبل الناس على تصانيفه وصار لقاؤه شرفاً . قل سلام بن زيد احد علماء الاندلس : كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء الجاحظ فخرجت لا اعرج على شيء حتى قصدته واقمت عليه عشرين سنة . وانفرد الجاحظ براء في التوحيد صارت مذهبا من مذاهب المعتزلة واخذ باقواله جماعة عرفوا بالجاحظية . واعجب المأمون بكتبه . وصدر في ديوان الرسائل ايام المأمون ثلاثة ايام ثم استعفى فأعفي . وكان سهل بن هرون يقول : ان ثبت الجاحظ في

هذا الديوان اقل نجم الكتاب .

ثم اتصل الجاحظ بمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق ولازمه واختص به وقدم اليه كتاب الحيوان ، فلما قبض على ابن الزيات في خلافة المتوكل هرب الجاحظ فقبيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور ، يريد ما صنع بابن الزيات وادخله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب هو فيه حتى مات .

ولقد اصاب الجاحظ رشاش من هذه المحنة فانه جيء به مقيدا الى القاضي احمد بن ابي دواد بعد قتل ابن الزيات فلما نظر اليه قال : والله ما علمتكم الا متناسيا للنعمة كفورا للصنعة معدنا للمساوي . فقال له الجاحظ : خفض عليك ايدك الله ، فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ، ولان اسيء وتحسن احسن من ان احسن فتسيء ، وان تعفوني في حال قدرتك اجمل من الانتقام مني . فقال له ابن ابي دواد : قبحك الله ما علمتكم الا كثير تزويق الكلام ، ثم قال جيئوا بحداد ، فقال اعز الله القاضي ، ليفك عني اولي يدي ؟ فقال بل ليفك عنك ، فجيء بالحداد فغمزه بعض اهل المجلس ان يعنف بساق الجاحظ

ويعطيل امره قليلا، فلطمه الجاحظ وقال: اععمل عمل شهر في يوم  
وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فان الضرر على ساقى  
وليس بجذع ولا ساجة (١) فضحك ابن ابي دواد واهل المجلس  
منه، وقال ابن ابي دواد لبعض الحاضرين انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه، ثم  
قال يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى واحمل اليه تحت ثياب  
وطويلة وخفا، فلبس ذلك ثم اتاه فتصدر في مجلسه، ثم اقبل عليه  
وقال هات الان حديثك يا ابا عثمان . واصطلحت الحال بينهما  
واهدى اليه الجاحظ كتاب البيان والتبيين .

واتصل الجاحظ ايضا بالفتح بن خاقان وسافر معه الى دمشق  
ووصف مسجدها في كتابه (البلدان) كما انه دخل معه انطاكية  
وشكا من براغيثها وبقها .

وهكذا قضى الجاحظ ايامه في العلم والادب والتصنيف  
حتى اصيب بالفالج في اعقاب عمره وكان ذلك في اواخر خلافة  
المتوكل، قيل ان المتوكل وجه من يحمل الجاحظ اليه من البصرة،  
فقال لمن اراد حمله وما يصنع امير المؤمنين بامرىء ليس بطائل  
ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائيل وعقل حائل .

---

(١) الساجة شجرة عظيمة خشبها صلب .

وقال المبرد: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له كيف  
انت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمشير ما شعر به  
ونصفه الآخر منقرس لو طر الذباب بقربه لآلمه، واشد من ذلك  
ست وتسعون سنة اذ فيها ثم انشدنا :

اترجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب  
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالحديد من الثياب  
وقال للمتطبب يشكو اليه علة: اصطلحت الاضداد على جسدي  
ان اكلت بارداً اخذ برجلي وان اكلت حاراً اخذ برأسي . وتوفي  
الجاحظ بالبصرة في خلافة المعتز في المحرم سنة خمس وخمسين  
ومائتين .

صفه

كان الجاحظ دميم الخلقه مشوهاً جاحظ العينين ولذلك قيل  
له الجاحظ والحدقي، ولنا من صراحتة وفكاهته وحسن اخلاقه  
دليل على تعرف دمامته، فأكثر ما روي عن تشويه خلقه مروى  
عنه قال: ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رأني استبشع  
منطري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني . وهناك اخبار في  
قبح صورته مروية عنه اغفلناها لانها لا تختلف عما ذكرناه

ولقد قال فيه بعضهم :

لو يمسح الخنزير مسحاً ثانياً  
رجل ينوب عن الجحيم بنفسه  
ما كان الا دون قبح الجاحظ  
وهو القذى في كل طرف لاحظ

### مذهب

الجاحظ شيخ من شيوخ المعتزلة وامام فرقة من فرقهم تدعى  
الجاحظية، وقبل الكلام عن هذه الفرقة لا بأس بتعريف المعتزلة  
على سبيل الاختصار .

### المعتزلة

المعتزلة ويسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد - فرقة  
اسلامية رئيسها ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزالي كان تلميذاً  
للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والاخبار ويحضر حلقته، والنق  
انه انفرد عن استاذه في مسألة فترك الحلقة واعتزل الى اسطوانة  
من اسطوانات المسجد وتبعه جماعة من اصحاب الحسن ، فقال  
الحسن : اعتزل عنا واصل . فسعى واصحابه معتزلة .

انفرد المعتزلة عن اهل السنة بآراء في الكلام لا محل للتبسط  
فيها . ويمكن الاشارة اليها بما يأتي :

اتفق المعتزلة على القول بان الله تعالى قديم ونفوا الصفات  
القديمة اصلا، واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق، واتفقوا على نفي  
رواية الله تعالى بالابصار في الآخرة ونفي التشبيه عنه من كل  
وجه، وسموا هذا النمط توحيدا .

واتفقوا على ان العبد خالق لافعاله خيرا وشرها مستحق  
على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والله تعالى منزّه ان  
يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم  
كان ظالما كما لو خلق العدل كان عدلا، واتفقوا على ان الحكيم  
لا يفعل الا الصلاح والخير وسموا هذا النمط عدلا .

واتفقوا على ان المؤمن اذا مات على طاعة استحق الثواب  
واذا مات عن كبيرة ارتكبها من غير توبة استحق الخلود في النار  
لكن عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا .  
واتفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل  
ورود السمع، والحسن والقبیح يجب معرفتهما بالعقل، واعتناق  
الحسن واجتناب القبیح واجب كذلك، وورود التكليف الطاف  
للباري ارسلها الى العباد بتوسط الانبياء امتحانا واختبارا .

ولا بد من الاشارة الى ان المعتزلة من اكثر الفرق الاسلامية

نحكيها للعقل واطلاعا على الفلسفة وقد وافقوا الفلاسفة في بعض مسائل التوحيد .

### الغماظة

وافترقت المعتزلة الى فرق عديدة تربو على العشرين منها الجاحظية وهم اصحاب الجاحظ قال الشهرستاني : طالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة وانفرد بمسائل منها قوله : ان المعارف كلها طباع وليس شيء من ذلك من افعال العباد وليس للعباد كسب سوى الارادة ، وقال باثبات الطبائع للاجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة ، وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجواهر لا يجوز ان يفنى . ومنها قوله في اهل النار انهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون الى طبيعة النار . وكان يقول النار تجذب اهليها الى نفسها دون ان يدخل احد فيها .

ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي الصفات . وفي اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة .

وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ، ثم هم

صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به ، فالجاهل معذور والعالم محجوج .  
وحكى ابن الرواندي عنه ان القرآن جسد يجوز ان يقلب  
مرة رجلا ومرة حيوانا .

ثم قال ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الا ان  
الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الالهيين .

### سنة علمه وجماله قرره

ما رزقت العربية كتابا اكثر علما واوسع مادة واجمع لانواع  
العلوم معقولها ومنقولها من الجاحظ . وتقدم بنا انه ادرك  
طائفة من ائمة الادب واخذ عنهم كما اخذ الكلام عن النظام احدائمه  
المتعزلة واكثر من مطالعة كتب الفلسفة . قال ابو هفان : لم ار  
قط ولا سمعت من احب الكتب والعلوم اكثر من الجاحظ فانه  
لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى انه  
كان يكتري دكا كين الوراقين ويبيت فيها للنظر .

وذكر ابن عساكر ان الجاحظ حدث عن حجاج بن محمد  
والتقاضي ابي يوسف وثامة بن اشرس التميمي ، وروى عنه ابو  
سعيد الحسن بن علي العدوي وابوبكر عبد الله بن ابي داود  
ودعامه بن الجهم وابو العباس محمد بن يزيد المبرد ويحيى بن

المزرع وابو العيناء محمد بن القاسم وابو دلف هاشم بن محمد الخزاعي .  
ولقد كان شعر الجاحظ في طلب العلم قوله : اذا سمعت  
الرجل يقول ماترك الاول الاخر شيئاً فاعلم انه ما يريد ان يفلح .  
وقوله ايضا : وكلام كثير قد جرى على السنة الناس وله  
مضرة شديدة وثمره مرة فمن اضر ذلك قوهم لم يدع الاول للاخر  
شيئاً ، فلو ان علماء كل عصر مذجرت هذه الكلمة في اسماعهم  
تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عن قبلهم لرأيت العلم مختلاً .  
على هذه الطريقة طلب الجاحظ العلم فاطلع على علوم المتقدمين  
والتأخرين لعصره واستنبط واجتهد وانتقد وزاد والف  
في الادب والعلم والدين وكان اماماً في كل منها .

قال المرزباني قال ابو بكر احمد بن علي : كان ابو عثمان  
الجاحظ من اصحاب النظام وكان واسع العلم بالكلام كثير  
التبحر فيه شديد الضبط لحدوده ومن اعلم الناس به وبغيره من  
علوم الدين والدنيا وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصره الدين  
وفي حكاية مذهب المخالفين ، والاداب والاخلاق وفي ضروب من  
الجد والهزل وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلهم واذا تدبر  
العاقل المعيز امر كتبه علم انه ليس في تلقيح العقول وشحن

الإذنهان ومعرفة اصول الكلام وجواهره وايصال خلاف  
الاسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب كتب تشبهها . والجاحظ  
عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال  
ويميزون الامور .

وقال ثابت بن قررة : ما احسد هذه الامة العربية الا على  
ثلاثة اولهم عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته و . . . الخ ، والثاني  
الحسن البصري فلقد كان من دراري النجوم علما وتقوى و . . .  
الخ ، والثالث ابو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين ، وشيخ  
المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ، ان تكلم حكى سبحان  
البلاغة ، وان ناظر ضارع النظام في الجدل ، وان جد خرج في  
مسك عامر بن عبد قيس ، وان هزل زاد على مزيد ، حبيب  
القلوب ومراح الارواح وشيخ الادب ولسان العرب ، كتبه رياض  
زاهرة ، ورسائله افنان مشمرة ، ما نازعه منازع الارشاه انفاً ، ولا  
تعرض له منقوص الا قدم له التواضع استبقاء . الخلفاء تعرفه ،  
والامراء تصفه وتنادمه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له ، والعامه  
تجبه ، جمع بين لسان واقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والادب ،  
وبين النثر والنظم ، والذكاء والفهم ، طال عمره وفشت حكمته وظهرت .

خلته ووطي الرجال عقبه وتهادوا اربيه، وافتخروا بالانتساب اليه،  
ونجحوا بالاقضاء به، لقد اوتي الحكمة وفصل الخطاب .  
ومن اطلع على شيء من كتب الجاحظ سلم بما نقلناه  
من تقر يظه وحكم انه المرجع في خزانة ادبنا بل هو الشارع للتأليف  
ولا يزال اماماً يهتدى بهديه .

قال ابن العميد : ثلاثة علوم الناس كلها عيال فيها على ثلاثة  
انفس ، اما الفقه فعلى ابي حنيفة ، واما الكلام فعلى ابي الهذيل ، واما  
البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ .  
ولقد الف ابو حيان التوحيدي كتاباً في تقر يظ الجاحظ .  
وقيل لابي هفان لم لا تهجو الجاحظ وقد تدد بك واخذ بمخنقك  
فقال امثلي يخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة في ارنبة انفي لما  
امست الا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه الف بيت لما طن منها بيت  
في الف سنة .

واقدم بلغ الجاحظ من جلالة القدر ان يرى نفسه في آخر  
ايامه اعظم من ان ينقطع الى الخلفاء ، وكان الوزراء والحجاب عرفوا  
منه ذلك فلقد كتب اليه الفتح بن خاقان كتاباً يقول في  
فصل منه :

ان امير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك ولولا عظمتك  
 في نفسه لعلمك ومعرفتك لحل بينك وبين بعدك عن مجاسه  
 ونغصبك رأيك وتديرك فيما انت مشغول فيه ومتوفر عليه .  
 وفي ابن خلكان ان بعض البرامكة مر بالبصرة والجاحظ  
 عليل فذهب ليراه فلما قرع الباب خرجت خادمة فقالت من انت  
 فقال رجل غريب واحب ان اسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم  
 ما قال فقال الجاحظ: هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلي  
 فقال احب ان اراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ  
 والاخبار في هذا الباب مستفيضة نختتمها بما رواه ابن عساكر  
 في تاريخه ولا ندري كنه هذه الرواية اهي من جد الجاحظ ام  
 هزاه : قال علي بن قاسم الخوافي حدثني بعض اخواني انه دخل على  
 الجاحظ فقال يا ابا عثمان كيف حالك فقال الجاحظ سألتني عن  
 الجلة فاسمعها مني واحداً واحداً حالي ان الوزير يتكلم برأيي  
 وينفذ امرى ويورث الخليفة انصارات الى ما وكل من لحم الطير اسمها  
 والبس من الثياب افخرها واجلس على ابن الطبري واتكيت على  
 هذا الريش ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بانفرج . فقال له الرجل  
 لفرج ما انت فيه . قال بل احب ان تكون الخلافة لي ويعمل

محمد بن عبد الملك بأمري و يختلف الى فهذا هو الفرج .

### اسلوبه وخصائصه

لا اعرف في كتاب العربية كاتباً يداني الجاحظ في قوة طبعه على الانشاء و اتقياد الجمل اليه فهو في النثر كالبحتري في الشعر و طبع كل منهما في فنه مضرب المثل . وما اشبه الجاحظ في ترادف جملة بالبحر الزاخر ما يرسل موجة الا ليعقبها باخرى

يروعك من اسلوب الجاحظ ذلك السمو في المفردات و التراكيب الصادرة عن طبع فياض ليس للعمل فيه اثر البتة .  
ف هناك ما شئت من سلاسة و سهولة ، و هناك ما شئت من بسط و اسهاب . و اعظم من هذا تلك الشخصية البارزة الماثلة في كل فقرة من فقر الجاحظ ، فماذا كر اني قرأت فصلا له الا تمثل لي في كل جملة عينان جاحظتان تنظران نظرات فيها من معاني الجدل و الهزل ما لا اترجم عنه الا العيون . فهو من هذه الجهة اكبر كتب العربية شخصية و كل كلمة من كلماته تكاد تكون مطبوعة بطابعه الخاص .  
يكثر الجاحظ من الاستطراد حتى يخرج بالتقاري . عن الموضوع الذي عقده الفصل ، و ما اظن ذلك ناشئاً الا عن غزارة مادته و طاعة الالفاظ له و كثرة المران على الجدل .

علاج الجاحظ كل ما عرف لوقته من ضروب العلم فكتب  
 في التوحيد والقرآن ومذاهب الفرق الاسلامية، وكتب في الادب  
 وفتونه شعرا ونثرا وجدا وهزلا، وكتب في الاخلاق والاجتماع  
 وطبائع الناس، وكتب في الحيوان والنبات، ولم يفته ان يكتب في  
 الطب والكيمياء . فكان كتبه صورة عن الكون بتدي  
 بالدر الحقيق وتنتهي الى الخالق العظيم ولا تغضي ما بينهما .

يعمد الجاحظ الى الموضوع الحقيق كأنملة مثلا فلا يزال  
 يصف طبائعها ويورد الحقائق على حزمها حتى تعظم في نفسك .  
 ويقصد الى الموضوع العظيم كحجته الامام احمد في القول بخلق  
 القرآن فلا يزال يهون المحنة حتى تظن ان الامام غلب بالحجة لا  
 بالقوة . وذلك من سحر البيان وان من البيان لسحرا . وهو بعد  
 في دقة التصوير وحكاية الواقع ووصف الحديث آية لا  
 تعدلها آية .

ادب الجاحظ ادب واقعي بل طبيعي ، يرد التصريح على  
 التلويح ، ويصور الحقيقة كما هي ، ويرى في ذلك السبيل الاقوم  
 فيدعو اليه ، ويعيب من يرغب عنه قال : « لكل ضرب من  
 الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ،

فالسخيف السخيف، والجزل المجزل، والافصاح في موضع، الافصاح  
والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال .  
وان كان موضع الحديث على انه مضحك وملهي، وداخل في باب  
المزاح والطيب، فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته . وان  
كان في لفظه سخف، وابدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث  
الذي وضع على يسر النفوس، يكرهها ويأخذ بها كظالمها . وبعض  
الناس اذا انتهى الى ذكر الحر و . . . و . . . ارتدع وظهر  
التعزز واستعمل باب التورع، واكثر من تجده كذلك فانما هو  
رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار الا بقدر هذا  
الشكل من التصنع .

وربما تعدد الجاحظ اللحن في نقل احاديث الناس ايحافظ على روايتها  
كما نطق بها اصحابها . قال في كتاب الحيوان بحكي ما قاله ابراهيم  
النظام في كتاب « ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعليك بالبراري  
والغياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم . ثم قال  
الجاحظ، ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحنون من قولي ان  
كنت سبع ولم اقل ان كنت سبعة، وانا اقول ان الاعراب يفسد  
نوادير المولدين، كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب، لان سامع ذلك

الكلام انما اعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة . فاذا دخلت على هذا الامر - الذي انما اضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيها - حروف الاعراب والتخفيف والتثقيب ، وحوته الى صورة الفاظ الاعراب الفصحاء واهل المروءة والنجابة ، انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته «

وهو لا يقف عندها هذا الحد بل ربما نقل كلام الاعجمي ينصه ، قال في كتاب البخلاء يحكي حديث بنخيل من اهل مرو تجاهل ضيفا زاره من اهل العراق : لو خرجت من جلدك لم اعرفك . قال الجاحظ وترجمة هذا الكلام بالفارسية « كراز پوستت بارون بيائي نشناسيم » (١)

هذا من حيث الرواية والحكاية ، وهو في غيرهما ايضا لا يرى بأسا باستعمال الكلمات الفارسية ، كقوله في كتاب البخلاء : « وكانوا يعلمون ان احضار الجدي انما هو شيء من آيين (٢) الموأد الرفيعة » . وكذلك فانه استعمل كلمة « بانوان » وفسرها

(١) هنا يتساءل الانسان هل كان الجاحظ يعرف الفارسية .

(٢) آيين كلمة فارسية معناها العادة .

بقوله : (والبانوان الذي يقف على الباب ويسل الخلق ويقول بانوا  
وتفسير ذلك بالعربية بامولاي ) .

والجاحظ بعد زاهد في السجع ، يوءثر السهولة على الحزونة ،  
والوضوح على الغموض ، والبسط على الایجاز . قال بديع الزمان  
المهذابي : « كلام الجاحظ بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل  
الاستعارات ، متقاد لمریان الكلام يستعمله ، نفور من معاصه  
يحمله ، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة ، او لفظة غير  
مصنوعة » .

ومن خصائص الجاحظ في اسلوبه الدعابة والفكاهة والتناذر  
والسخرية والتهكم ، وتلك امور تخف على نفس القارىء ، وتستهو به ،  
ولها محل رفيع في آداب الامم الحية ، ولو كن ادبنا لا يزال ينقصه  
شيء كثير منها . والجاحظ في هذا الباب فرد لا يضارعه احد .

....

ادب الجاحظ ادب حي ، مستمد من الدرس والتفكير  
والتجارب ، ولا تكاد تجد مؤلفا يعطيك من هذه الثلاثة كما  
يعطيك الجاحظ ، فهو يشارك الرواة في سعه حفظه ورأيته ، ويشارك  
الفلاسفة في تفكيره الحر واعتماده على المعقول ، ويبد الجميع في

ملايسته للناس على اختلاف طبقاتهم وفهمه لروح عصره . ولو  
قيض لمجموعة مصنفاته البقاء ، لكان لدينا صورة ناطقة عن عصر  
الجاحظ في كل مناحيه ، وعمما وصل اليه العلم والادب والاجتماع .  
يعتمد ادب الجاحظ على عناصر شتى ، اقواها بلاغة العرب  
في الجاهلية والاسلام ، والكتاب والسنة ، وما نقل الى العربية من  
آداب الفرس واليونان والهنود وفلسفتهم ، ولكن اظهر ما يكون فيه  
الرأي الشخصي والتفكير الحر .

لئن كان ابن المقفع امام الكتاب في عصر الترجمة ، فالجاحظ  
إمامهم في عصر الوضع والتأليف والابداع وتكوين الادب الحضري  
المرتكز على اسس العلم والمدنية والتفكير من غير ان يفقد شيئا من  
فصاحة البداوة وروعيتها .

وهكذا فالجاحظ شرع طريقة التأليف في الادب ، وكل من  
الف بعده متأثر بطريقته شعرا لم يشعر . قال ابن النديم في  
المفهرست : « ابن خلاد الراهب مزي حسن التأليف مليح التصنيف  
يسلك طريقة الجاحظ » وقال ايضا : « الأمدى مليح التصنيف  
جيد التأليف متعاطي مذهب الجاحظ فيما عمله من الكتب » .  
ولم يقف اثره عند هذا الحد بل تعداه الى ان اصبحت

الكتاب يترجم خطاه في الانشاء بل تقتبس جملة ذات الجلبة في  
السمع والروعة في النفس . قال القاضي الفاضل : « واما الجاحظ  
فما منا معشر الكتاب الا من دخل داره ، اوشن على كلامه الغارة ،  
وخرج وعلى كتفه منه الكارة »

والجاحظ يكره التكلف كما يكره الاسفاف ، و يعجب بالطلع  
السليم كما يعجب بالفكر الثاقب قال :

« احسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في  
ظاهر نفاذ ، وكان الله عز وجل البسه من الجلالة ، وغشاه من نور  
الحكمة ، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله . فاذا كان المعنى شريفاً ،  
واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، ومنزه عن  
الاختلال ، ومصوناً عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في  
التربة الكريمة . ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت  
من قائلها على هذه الصفة ، استحباها الله من التوفيق ، ومنحها من التأيد ،  
مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها  
عقول الجهلة » .

هذا وفي انشاء الجاحظ كثير من اساليب الخطابة والجدل ،  
وله جملة تدل على ذلك قال : « ينبغي للكاتب ان يكون رقيق

حواشي اللسان، عذب يتابع البيان، اذا حاور سدد سهم الصواب  
الى غرض المعنى . لا بكم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام  
العامة .»

ومما يشهد بسرعة جوابه وذلاقة لسانه قوله لرجل آذاه: «انت  
والله احوج الى هوان من كريم الى اكرام، ومن علم الى عمل، ومن  
قدرة الى عفو، ومن نعمة الى شكر» .

وفي اجوبته واحاديثه قليل من السجع والصنعة بخلاف  
انشائه، قال ابو سعد داود بن الهيثم رأيت الجاحظ يكتب شيئاً  
فتبسم، فقالت ما يضحكك؟ فقال: « اذا لم يكن القرطاس صافياً،  
والمداد نامياً، والقلم واثياً، والقاب خالياً، فلا عليك ان تكون كايها» .  
ووصف الجباري فقال: «سلاحها سلاحها» ووصف نبات  
الذروج فقال: « يخرج كاسيا كاسيا» وكان يقول: «من صنف فقد  
استهدف، فان احسن فقد استعطف، وان اساء فقد استقذف» .  
وكأنه كان يستعمل ذلك في كلامه من باب التظرف  
والتملح .

## دعابه وفطانه

كان في الجاحظ على جلاله قدره دعابة وفكاهة وخفة روح  
فهو يخلط الهزل بالجد، ويمجد النكتة جواباً وكتابة ورواية، ولا تجد  
كاتباً من الكتاب شاعت النكتة في آثاره وحرص عليها مثل  
الجاحظ، وربما قيد إلى النكتة بالاسلاس، فكان ذهوله ونسيانه  
فكاهة مستلحة قال: « نسيت كنتي ثلاثة ايام حتى اتيت اهلي  
فقلت لهم بم اکتني ؟ فقالوا بابي عثمان »

وطالما استعمل الجاحظ فكاهته في النقد اللاذع، فعبث  
بالقصص الدجالين، وتنادر على غلاة الشيعة، وسخر بالحكام  
ووسطائهم، وتهكم على الادعياء، وضحك من الاغبياء، فبلغ من  
كل ذلك مبلغاً لا ينال بالجد.

سأله بعضهم ان يعطيه كتاباً الى بعض العمال يكون بمثابة  
وسيلة، فعبث الجاحظ بكتاب مختم فيه: « هذا الكتاب مع من  
لا اعرفه، وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه، فان قضيت حاجته  
لم احمدك، وان رددته لم اذمك » فلما سئل عن ذلك قال: هذه علامة  
بيني وبين الرجل فيمن اعطني به . فقال المكتوب لاجله : ام  
الجاحظ عشرة الاف في عشرة الاف . . . . . وام من يسأله حاجة .

فأما استذكر منه ذلك قال: هذه علامتي فإذن انتكره - فضحك الجاحظ

قال أبو كريمة - وأعله هو الذي كتب الكتاب لأجله -

لما يظن الله عمراً حين صيره

من كل شيء سوى آدابه عدي

بنت حبال وصدى كفه قطعت

لما استعنت به في بعض أوطاري

فأكنت في طلبي من عنده فرجاً

كأستغيث من الرمضاء بالدار

إني أعيدك والمعتاد محتمس

من شوء عمرو بعز الخالق الباري

فإن فعلت فمحظ قد ظفرت به

وإن أبيت فقد أعلنت امراري

وصار الجاحظ إلى منزل بعض أخوانه فاستأذن عليه ، فخرج

إليه غلام أعجمي فقال من أنت ؟ قال الجاحظ : فدخل الغلام إلى

صاحب الدار فقال الجاحظ على الباب ، وسمها الجاحظ . فقال

صاحب الدار للغلام : اخرج فانظر من الرجل ، فخرج يستخبر عن

اسمه ، فقال أنا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الخلقي ، وسمها الجاحظ

فصاح به في الباب : ردنا الى الاول ، يريدان قوله انجد حد مكان  
الجاحظ ، اسهل عليه من الخلقي مكان الخدقي . فعرفه الرجل  
فوصله واعتذر اليه .

وقال الجاحظ مرة بمضرة السدري : « اذا كانت المرأة عاقلة  
ظريفة كاملة كانت . . . » فقال له السدري وكيف ؟ قال  
لانها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها من  
تريد ، والتوبة معروضه لها متى شئت . فقال له السدري فكيف  
عقل العجوز حفظها الله ؟ قال هي احق الناس واقلهم عقلا .

واتاه يوما رجل فقال : سمعت ان لك الف جواب مسكت  
فعلمني منها ، قال نعم ، فقال اذا قال لي شخص يا زوج الفاعلة  
ياثقل الروح اي شيء اقول له ؟ قال قل له صدقت .

وقال الجاحظ : كان رجل من اهل السواد تشيع وكان  
ظريفا ، فقال ابن عم له : بلغني انك تبغض عليا عليه السلام ،  
والله لئن فعلت ، لتردن عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك .  
قال والحوض في يده يوم القيامة ؟ قال نعم ، قال وما لهذا المفاضل  
يقتل الناس في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطاش ، فقيل له انقول

هذا مع تشبعك ودينك ؟ قال والله لا تركت النادرة ولو قتلتني  
في الدنيا ، وادخلتني النار في الآخرة .

وقال : كان يأتيني رجل فصيح من العجم ، فقلت له :  
هذه الفصحة وهذا البيان ، لو ادعيت في قبيلة من العرب لكنت  
لا تنازع فيها ، فاجابني الى ذلك ، فجعلت احفظه نسباً حتى  
حفظه وهذه هذاً ، فقلت له : الان ، لاته علينا ، فقال : سبحان  
الله ! ان فعلت ذلك فانا اذن دعي .

وروى ابن عساکر ان الجاحظ قال : رأيت جارية ببغداد  
في سوق النخاسين ينادى عليها ، فدعوت بها وجعلت اقلبها ،  
فقلت لها ما اسمك ؟ قالت مكة ، قلت الله اكبر ! فدقرب الحج  
أتأذنين ان اقبل الحجر الاسود ؟ قالت اليك عني ! اولم تسمع الله  
يقول : « لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس »

وقال الجاحظ : كنت وقفت انا وابو حرب على قاص فاردت  
الولوع به ، فقلت ان حوله : انه رجل صالح لا يجب الشهرة  
فتفرقوا عنه ، فتفرقوا . فقل لي : الله حسبيك اذا لم ير الصياد  
طيرا كيف يد شبكته .

وقال ايضا : اشتريت عبدا بمائة درهم فاسترختصه ، فبعثت

سمكا فتمت فاستدعيت منه ماء ، فقال اسكت تأكل السمك  
وتشرب عليه الماء ليتوند منه كذا وكذا وامتنع . فلما اشتد عطشي  
قمت وشربت ، فقال : يا مولاي احمل معك حتى اشرب انا ايضا .  
وقال ايضا : حدثني ثمامة بن اشرس قال شهدت رجلا يوما  
من الايام وقد قدم خصما له الى بعض الولاة فقال : اصلحك الله!  
ناصبي رافضي جهمي مشبه بجبر قدري ، يشتم الحجاج بن الزبير  
الذي هدم الكعبة على علي بن ابي سفيان ، ويلعن معاوية بن ابي  
طالب . فقال له الوالي : ما ادري مم تعجب ، من علمك بالانساب ،  
او من معرفتك بالمقالات ، فقال : اصلحك الله ما خرجت من  
الكتاب حتى تعلمت هذا كله .

وقال ايضا : كنت مجتازا في بعض الطرق ، فاذا انا برجل  
قصير بطين ، كبير الهامة طويل اللحية ، متزر بمئزر بيده مشط يشق  
به شقه ويمشطها بيده ، فقلت في نفسي رجل قصير بطين الحى  
فاستزرتة فقلت : ايها الشيخ قد قلت فيك شعرا ، فترك المشط  
من يده وقال قل ، فقلت :

كانك صعوة في اصل حش اصاب الحش طش بعد رش  
فقال لي : اسمع جواب ما قات ، فقلت هات ، فقال :

كانت كندر في ذيل كبش تدل دل هكذا والكبش يمشي  
وكان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات بخاوا  
بفالودجة ، فتواع محمد بالجاحظ وامر ان يجعل من جهته مارق  
من الجأم ، فسرع في الأكل فتتظف مابين يديه ، فقال ابن الزيات  
نقشمت ساوءك قبل الناس ، فقال الجاحظ : لان غيمها كان  
رقيقا .

وقال الجاحظ في مفضل اسمه كيسان : كان يكتب غير  
ما يسمع ، ويستعمل غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستعمل ، ويملي  
غير ما يقرأ . املت عليه يوما :

عجبت لعشر عدلوا بعتمر ابا عمرو

فكتب ابا بشر ، وقرأ ابا حفص ، واستملي ابا زيد .

وفي تاريخ ابن عساكر قال ابو بكر محمد بن اسحاق قال لي

ابراهيم بن محمود ونحن ببغداد : الا ندخل على عمرو بن بجر الجاحظ

فقلت مالي وله ، قال انك اذا انشرفت الى خراسان سألوك عنه

فلو دخلت عليه وسمعت كلامه ، ثم لم يزل بي حتى دخلت عليه

يوما ، فقدم الينا طبقا عليه رطب فتناولت منه ثلاث رطبات وامسكت ،

ومر ابراهيم فاشرت اليه ان يمسك ، فرمقني الجاحظ فقال لي :

دعه يافتي فقد كان عندي في هذه الايام بعض اخواني قدمت  
اليه الرطب فامتنع ، فخلقت عليه قابي الا ان يبر قسمي بثلاثمائة  
رطبة .

### حسن الحاضر

لم يكن الجاحظ من اولئك العلماء المتزمين الذين زروا  
وجوههم عن المجتمع، وتجاهلوا ما يحيط بهم من احوال عصرهم،  
واقصروا على فهم الحياة من الكتب . كلا فلقد كان كثير  
الاختلاط يلبس طبقات الناس كلها من الخليفة وحاشيته الى  
الحراس (١) . فاضاف الى واسع روايته في الادب ، عظيم خبرته لاهل  
زمانه . فضلا عن حدة ذكائه وقوة عارضته ، وعمار كعب في طبعه  
من حب الدعابة والفكاهة . فليس عجيبا ان يكون حلوا الحديث  
حسن المحاضرة حاضر الجواب سريع النكتة ، وحببتا ان نروي من ذلك  
قصة رواها ابن خلكان قال قال الجاحظ : ذكرت للمتوكل  
لتأديب بعض ولده ، فلما رأي استبشع منظري ، فامر لي بعشرة  
آلاف درهم وصر فني فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم  
وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام ، فعرض علي الخروج معه  
(١) انظر حديثه مع الحارس في باب الكلاب من كتاب الحيوان .

والانجدار في حراقة ، وكتابسر من رأي ، فركبنا في الحراقة فلما  
انتهينا الى فم نهر القاطول نصب ستارة وامر بالغناء ، فاندفعت  
عوادة فغنت :

كل يوم قطعة وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غضاب  
ليت شعري انا خصصت بهذا دون ذا الخلق ام كذا الاحباب  
وسكتت فامر الطنبورية فغنت :

وارحمنا للعاشقين ما ان ارى لهم معينا

كم بهجرون ويصرمو نويقطعون فيصبرونا

قال فقالت لها العوادة : فيصنعون ماذا؟ قالت هكذا يصنعون!

وضربت يدها الى الستارة فتهكتها ، وبرزت كأنها فلقة قمر ،  
فالتت نفسها في الماء . وعلى رأس محمد غلام يضاهاها في الجمال ويده  
مذبة فاتي الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء فاشد :

انت التي غرقني بعد القضا لو تعلمينا

والتي نقت في اثرها . فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتقان

ثم غاصا فلم يريا . فاستعظم محمد ذلك وهاله امرهما ثم قال : يا عمرو  
لتحدثني حديثا يسليني عن فعل هذين والا الحقتك بهما . قال  
فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم يوما وعرضت

عليه القصص ، فمرت به قصة فيها : ان رأى امير المؤمنين ان يخرج  
الى جار يته فلانة حتى تغني ثلثة اصوات فعل . فاعتاظ يزيد  
من ذلك وامر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ، ثم اتبع الرسول رسولا  
آخر يأمره ان يدخل اليه الرجل فادخله ، فلما وقف بين يديه  
قال له : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال اثقة بملكك والاتكال  
على عفوك . فامره بالجلوس حتى لم يبق احد من بني امية الا  
خرج ، ثم امر فخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غني  
افاطم مهلا بعض هذا التذلل

وان كنت قد ازمعت صرعي فاجلي

فغنته ، فقال له يزيد قل ، فقال غني :

تألق البرق نجديا فقلت له

يا ايها البرق اني عنك مشغول

فغنته ، فقال له يزيد قل ، فقال يا مولاي تأمر لي برطل

شراب ، فامر له به ، فما استتم شربه حتى وثب وصعد على اعلى

قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات . فقال يزيد انا لله وانا اليه

راجعون ، اتراه الاحق الجاهل ظن اني اخرج اليه جار يتي واردها

الى ملكي ، يا غلمان خذوها بيدها واحملوها الى اهله ان كان له

اهل ، والا فيبعوه. وتصدقوا عنه بشمها . فالطلقوا بها الى اهله  
فلما توسطت الدار نظرت الى حفيرة في وسط دار يزيد فداعدت  
للمطر فجذبت نفسها من ايديهم وانشدت :  
من مات عشقا فليمت هكذا

لاخير في عشق بلا موت  
فالقت نفسها في الحفيرة فماتت . قال الجاحظ فسري عن  
محمد واجزل صلتي .

كتبه

الجاحظ من اقدم المؤلفين واكثرهم تصانيف في كل فن  
وعلم كان معروفا لزمانه ، بل يمكن ان يقال انه هو الذي شرع  
التأليف في الادب . وكتبه تجمع الى العلم والفائدة البراعة في  
التعبير وسحر البلاغة في الاسلوب وتبعث الشوق على المطالعة لما  
فيها من النوادر والنتكات الشائعة فيها . وهي سنة المؤلفين من  
بعده بها اقتدوا وعلى سبيلها نهجوا ، ولولاها لفقد كثير من آداب  
العرب ، ولا تزال في غزارة المادة المرجع والام ، ولولا عدم  
تنسيقها لما فضلها كتاب .

كان ابو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاندلسي يقول :

رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوض عن نعيمهم .

وقال ابو القاسم السبزي : حضرنا مجلس الاستاذ الرئيس  
ابي الفضل ( ابن العميد ) فقصر رجل بالجاحظ وازرى عليه ،  
وحلم الاستاذ عنه ، فلما خرج قلت له : سكت ايها الاستاذ عن  
هذا الجاهل في قوله مع عادتك بالرد على امثاله . فقال : لم اجد  
في مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو واقفته وينت له النظر في  
كتبه لصار انسانا . يا ابا القاسم كتب الجاحظ تعلم العقل اولا  
والادب ثانيا .

وقال ابو علي الحسن بن داود : نخر اهل البصرة باربعة  
كتب : كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الحيوان له ،  
وكتاب سيبويه ، وكتاب العين للخليل .

وقد بلغ شغف الناس بكتب الجاحظ وتهافتهم عليها ان  
ابا بكر بن الاخشاد اراد ان يطلع على كتاب الفرق بين النبي  
والمشبي فلم يظفر به ، فلما دخل مكة حاجا اقام مناديا بعرفات ينادي :  
رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمشبي على اي  
وجه كان .

اما مؤلفات الجاحظ فتعد بالئات ، ورد في مقدمة كتاب

التاج ان الجاحظ ترك نحواً من ثلاثمائة وستين مؤلفاً رآها سبط  
ابن الجوزي كلها تقريباً في مشهد ابي حنيفة النعمان ببغداد .  
اما نحن فتكلم الآن على ما طبع منها وهو قليل جداً ثم نذكر  
اسمها ، اتصل بنا من كتبه التي لم تطبع .

### كتب المطبوعة

١- البيان والتبيين: احداً كان كتب الادب واقدمها اهداء  
الجاحظ الى ابن ابي داود فاعطاه خمسة آلاف دينار . والكتاب  
يبحث في فنون الادب والبلاغة نثراً ونظماً ويتناول النقد واللغة  
ويأتي على ذكر الادباء والخطباء والمنشئين والشعراء ويمثل بنماذج  
من اقوالهم . وفيه طائفة صالحة من كلام النبي والخلفاء والصالحين  
والزهاد والنسك وفصحاء الخوارج ، وما يقابل ذلك من كلام  
اللاحائين والنوكى والموسوسين والجفاة والاغبياء ، الى احاديث  
ونوادير مبثوثة في الكتاب . وهو من اجل وثائق الادب العربي  
في الجاهلية والاسلام . وكل من الف بعده في الادب نهج على  
منواله على ما فيه من نقص في التنسيق .

٢- كتاب الحيوان : اهداء الى الوزير محمد بن عبد الملك

الزيات فاعطاه خمسة آلاف دينار ، وهو اول كتاب الف في

موضوعه يدخل في سبعة اجزاء ويبحث عن طبائع الحيوان وما ورد فيه من الاخبار والقصص والنوادر والخرافات والفكاهة والمجون وما قاتمه العرب فيه من الشعر فضلا عما اختبره المؤلف بنفسه . وفي الكتاب استطرادات كثيرة يسوقها المؤلف لادني مناسبة ، فينتقل بالقاري ، من موضوع الى آخر وكثيراً ما تتسلسل المناسبات حتى يخرج عن الصدد ، ولكن القاري يقف في اثناء ذلك على اخبار ممتعة وفوائد قيمة تمثل له المعارف الاسلامية وما بلغته في القرن الثالث . فهناك اشعار الجاهليين والمخضرين والاسلاميين والمحدثين ، وهناك تفسير كثير من آي القرآن والحديث ، وهناك آراء المتكلمين ومذاهب الفرق الاسلامية ، وهناك شبه الملحدين والزنادقة والرد عليهم ، اضافة الى ذلك معرفة الهنود واليونان والفرس مما ترجمه العرب ومما تسوق اليه المنسوبة في ذلك الكتاب ، فضلا عن انه يصور كثيرا من وجوه الحياة في القرن الثالث .

٣ - كتاب البخلاء : كتاب طريف جمع فيه الجاحظ اخبار البخلاء ونوادر الاشياء ، وصدره برسالة سهل بن هرون في البخل وهي من البلم وامتع وانفس ما كتب في هذا الموضوع . والكتاب ممتع جذاب لما فيه من الفكاهة والاطمئنان والاماليح التي

تدور حول البحث ، وتقد اضافة اليه الجاحظ ما انفق له من النوادر مع بعض البخلاء ، ولا يخلو الكتاب من اراء سديدة في الاقتصاد والتدبير ، كل ذلك بأسلوب رشيق يستهوي القاري .

٤ - كتاب المحسن والاضداد: كتاب حسن جمع الجاحظ

فيه نحو ثمانين موضوعا متقابلة ، فهو يعقد للموضوع فصلا يذكر فيه محاسنه ثم يعقبه بضده وهكذا الى آخر الكتاب . وقد بدأه بذكر محاسن الكتابة وختمه بذكر شيء من محاسن الموت ، وجميع المواضع التي عانجها ذات بل . كمحاسن الجواب والمشورة والعفو والوفاء وحب الوطن وارضادها . وقد صرح الجاحظ في المقدمة بانه لم يسبق الى هذا الكتاب بقوله : « وهذا كتاب وسمته بالمحسن والاضداد لم اسبق الى نحلته ولم يسألني احد صنعه » والكتاب من اكثر كتب الجاحظ لنفسه وترتبا واشدها مراعاة لحسن التبويب وضم كل معنى الى مشاكلة . وقد جرى على سننه البيهقي فالف كتابا سماه المحاسن والمساوي .

٥ - كتاب التاج في اخلاق الملوك: يبحث عما يتعلق بامور

الملوك في السياسة والتدبير وفي حياتهم الخاصة وآداب مجالستهم ورسوم الدخول عليهم ومحدثهم وما الى ذلك من احوالهم العامة

والخاصة، وفيه شواهد عن ملوك الفرس وخلفاء العرب . والكتب يدل على ما بلغه العرب من العزة والسلطان ورسوم قدمهم في الحضارة . وما اظن ان رسوم اعرق قصر بالمدينة في الوقت الحاضر تفوق ما ورد في ذلك الكتاب من الرسوم والآداب .

٦ - الفصول المختارة من كتب الجاحظ : وهو كتب اختاره عبيد الله بن حسان من عشرين كتابا للجاحظ وهذه اسماءها : كتاب الحاسد والمحمود ، كتاب المعلمين ، كتاب التبريع والتدوير ، كتاب مدح التبيذ ، كتاب طبقات المغنين ، كتاب النساء ، كتاب مناقب الترك ، كتاب جميع النبوة ، كتاب مسائل القرآن ، « وفيه بحث عن خالق القرآن » كتاب الرد على النصارى ، كتاب المودة والخلطة ، كتاب استحقاق الامامة ، كتاب استنجاز الوعد ، كتاب تفضيل النطق على الصمت ، كتاب صناعة الكلام ، كتاب مدح التجارة وذم عمل السلطان ، كتاب الشارب والمشروب ، كتاب الامامة ، كتاب مقالة الزيدية والرافضة .

٧ ثلاث رسائل للجاحظ هي : الرد على النصارى التي مر ذكرها مع الفصول المختارة ، ذم اخلاق الكتاب ، رسالة القيان .

٨ - الحزين الى الاوطان .

٩ - احدى عشره رسالة طبعت في مصر ذكر اكثرها في

الفصول المختارة وما يزيد كرمه هو : فخر السودان على البيضان ،  
كتاب الوكلاء والموكابين .

١٠ - رسالة في بني امية : وقد سماها بعضهم رسالة النابتة .

١١ - كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : فيه

كثير من الادلة العقلية على وجود الخلق وحكمته وتديره وهو  
كتاب قيم واسلوبه عدل ونكته بسلوب الحكمة اشبه .

١٢ - كتاب المناظرة بين الربيع والخريف : نسب للجاحظ

وانا اشك كثيرا في كونه من كلامه بل اقطع بانه منحول لبعده  
عن اسلوب الجاحظ

١٣ - كتاب تهذيب الاخلاق : نسب للجاحظ وليس له .

هذه هي الكتب المطبوعة من تصانيف الجاحظ . اما كتبه

المخطوطة فقليل منها محفوظ في بعض دور الكتب العامة مثل

كتاب تنبيه الملوك والمكائد ، وكتاب سحر الايمان ، في مكتبة

كوبولي بالقسطنطينية ، وكتاب العرافة والزجر والفراسة على

مذاهب الفرس في مكتبة ليدن ، و كتاب المختار من كلام الجاحظ  
في مكتبة برلين .

والقسم الاعظم من كتبه المخطوطة لا يعلم محل وجودها وانما  
نورد اسماءها نقلا عن معجم الادباء لياقوت بعد اسقاط ما سبقت  
الاشارة اليه وهي : كتاب الزرع والنخل ، اهداه الجاحظ الى  
ابراهيم بن العباس الصولي فاعطاه خمسة الاف دينار ، كتاب  
النبي والمتنبي ، كتاب المعرفة ، كتاب مسائل المعرفة ، كتب  
جوابات المعرفة ، كتاب الرد على اصحاب الالهام ، كتاب نظم القرآن ،  
كتاب فضيلة المعتزلة ، كتاب الرد على المشبهة ، كتاب حكاية اصناف  
الزيدية ، كتاب العثمانية ، كتاب الاخبار وكيف تصح ، كتاب عصام  
المريد ، كتاب الرد على العثمانية ، كتاب امامة معاوية ، كتاب  
امامة بني العباس ، كتاب الفتيان ، كتاب القواد ، كتاب  
الصوص ، كتاب المخاطبات في التوحيد ، كتاب تصويب علي  
في تحكيم الحكيم ، كتاب وجوب الامامة ، كتاب الاصفاء ،  
كتاب افتخار الشتاء والصيف ، كتاب الجوارح ، كتاب نواذر  
الحسن ، كتاب انفخ مذبذب عبد شمس ومخزوم ، كتاب العرجان  
والبرصان ، كتاب فخر القحطانية والعدنانية ، كتاب الطفيلين ،

كتاب اتقيا (١) ، كتاب الرد على اليهود ، كتاب الصرحاء  
والهجنة ، كتاب المعاد والمعاش ، كتاب التسوية بين العرب  
والعجم ، كتاب السلطان واخلاق اهله ، كتاب الوعيد ،  
كتاب البلدان ، كتاب الاخبار ، كتاب الدلالة على ان  
الامة فرض ، كتاب الاستطاعة وخلق الافعال ، كتاب المتقين  
والقضاء والصنعة ، كتاب الهدايا ، «منحول» كتاب الاخوان ،  
كتاب الرد على من الخد في كتاب الله عز وجل ، كتاب آي  
القرآن ، كتاب الناشي والمتلاشي ، كتاب حانوت عطار ،  
كتاب التمثيل ، كتاب فضل العلم ، كتاب المزاج والجد ،  
كتاب جمهرة الملوك ، كتاب الصواعقة ، كتاب ذم الزنا ،  
كتاب التفكير والاعتبار (٢) ، كتاب الحجر والنبوة ، كتاب  
آل ابراهيم بن المدير في المكاتبه ، كتاب احالة القدرة على الظلم ،  
كتاب امهات الاولاد ، كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة ؟

(١) ورد في كتاب الفرق بين الفرق أن هذا الكتاب مشحون بطن  
النظام على اعلام الصحابة .

(٢) له كتاب الدلائل والاعتبار الذي سبقت الاشارة اليه عند الكلام  
على كتب الجاحظ المطبوعة .

كتاب الاخطار والمراتب والصناعات ، كتاب احدثثة العزم ،  
كتاب الرد على من زعم ان الانسان جزء لا يتجزأ ، كتاب ابي  
النجم وجوابه ، كتاب التفاح ، كتاب الانس والسلوة ، كتاب  
الكبر المستحسن والمستبح ، كتاب نقض الطب ، كتاب احزم  
والعزم ، كتاب عناصر الآداب ، كتاب تحصين الاموال ،  
كتاب الامثال ، كتاب فضل الفرس على الهملاج ، كتاب  
الرسالة الى ابي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الاولياء ،  
كتاب رسالة ابي النجم في الخراج ، كتاب رسالته في القلم ،  
كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب ، كتاب رسالته في كتمان  
السر ، كتاب رسالته في ذم النبيذ ، كتاب رسالته في العقوب  
والصفح ، كتاب رسالته في اثم السكر ، كتاب رسالته في الامل  
والمأمول ، كتاب رسالته في الخلية ، كتاب رسالته في مدح  
الكتاب ، كتاب رسالته في مدح الوراق ، كتاب رسالته  
في ذم الوراق ، كتاب رسالته في من يسمي من الشعراء عمرا ،  
كتاب رسالته في اليثيمة ، كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب  
ابن اسحق الكندي ، كتاب رسالته في الكرم ، كتاب رسالته في  
موت ابي حرب الصفار البصري ، كتاب رسالته في الميراث ،

كتاب الاسد والذئب ، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب ،  
كتاب رسالته في القضاة والولاة ، كتاب الملوك والامم السالفة  
والباقية ، كتاب رسالته في الرد على القولية ، كتاب العالم والجاهل ،  
كتاب الرد والشطرنج ، كتاب غش الصناعات ، كتاب خصومة  
الحول والعمور ، كتاب ذوي العاهات ، كتاب اخلاق الشطار .  
فانت ترى ان الرجل الف في الدين والعلم والادب والاجتماع والاقتصاد  
والحيوان والنبات وعالج كل فن من الجد والهزل وعدد تصانيفه عظيم  
جداً بين مختصر ومطول ولكن القسم الاعظم من فقد اوله لانه لا يزال مجهولاً

### الزمام في دينه

قل في النابغين من سلم من التهمة في دينه لا سي في عصر  
كعصر الجاحظ كثرت فيه الفرق والمذاهب ، دخل على العرب  
من الفلاسفة الهندية والفارسية والارغريقية ، كثر فيه الجدل في اصول  
الدين . وقلما تجادل شخصان ولا يرم كل منهما صاحبه بالمروق .  
والجاحظ كما علمت متكلم مناظر مرن على الجدل والحجاج ، وهو  
فوق ذلك صاحب مقالة في المعتزلة ومذهبه في الكلام اقرب الى  
مذهب الفلاسفة ، اصف الى ذلك ظرفه ودعايته وما ينشأ عن  
ذلك من تهكم لاذع يوري نثر الحفيظة في قلب الخصم . ذلك او

بعضه كاف لحمل خصماء الجاحظ على رميه بالزيف والمروق .  
اتهم الجاحظ في عدالته فرمي بالكذب في رواية الحديث ،  
قال ابن عساكر قال ابو العيناء : « ان الجاحظ وضعنا حديث  
فدك وادخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه الا ابن شيبه العلوي  
فانه قال لا يشبه اخر هذا الحديث اوله فابى ان يقبله » قال وكان ابو  
العيناء يحدث بهذا بعد ما تاب .

ورمي بالتهاون بالصلاة ، قال ابن عساكر : حدث ابن ابي  
الدنيا المحدث بسر من رأى قال : حضرت وليمة حضرها الجاحظ  
وحضرت صلاة الظهر فصلينا وما صلى الجاحظ ، وحضرت  
صلاة العصر فصلينا وما صلى الجاحظ . فلما عزمنا على الاتصاف  
قال الجاحظ لصاحب المنزل : اني ماصليت لمذهب او لسبب  
اخبرك به ، فقال له : ما اظن ان لك مذهبا في الصلاة الا تركها .  
وحدث ابو العيناء : قال قال الجاحظ : كان الاصمعي منانيا ،  
فقال له العباس بن رستم : لا والله واكن تذكر حين جلست اليه  
تسأله فجعل ياخذ نعله بيده وهي مخصوفة بعديد ويقول : نعم قناع  
القدرى . فعلت انه يعنيك .

وقدم ربك ان ابن ابي دواد قال : انا اتق بظرفه ولا اتق بدينه .

ولما عد الجاحظ بعض الزنادقة قالوا نسي الجاحظ نفسه .  
وقال الجاهز فيه :

يافتى نفسه الى الـ كفر بالله تائفة  
تلك في الفضل والتزهـ د والنسك سابقة

ولم يقفوا عند هذا الحد بل رموه بالكيد للاسلام والمسلمين .  
قال ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث « قال ابو محمد :  
ثم نصير الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين  
واحسنهم للحجة استشارة واشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم  
وتصغير العظيم حتى يصغر ويبلغ به الاقتدار الى ان يعمل الشيء  
ونقيضه ويحتج بفضل السودان على البيضان وتجده يحتج مرة  
للعثمانية على الرافضة ومرة للزيدية على العثمانية واهل السنة ومرة  
يفضل علياً رضي الله عنه ومرة بآخره . ويقول قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ويتبعه قال الجاهز وقال اسماعيل بن غزوان كذا  
وكذا من الفواحش ، ويجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان  
يذكر في كتاب ذكر فيه فكيف في ورقة او بعد سطر او  
سطين .

ويعمل كتابا يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين فاذا

صار الى الرد عليهم تجوز في الحججة كآذنه انما اراد تبيينهم على مالا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين .

وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الاحداث وشراب البيذ . ويستهزيء من الحديث استهزاء لا يخفى على اهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان وذكور الحجر الاسود وانه كان ايض فسوده المشركون و كان يجب ان يبيضه المسلمون حين اسلموا . ويذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشة فاكثرها الشاة ، واشياء من احاديث اهل الكتاب في تنادم الديك والغراب ودفن الهدهد امه في رأسه وتسبيح الضفدع وطوق الحمامة واشباه هذا مما سنذكره فيما بعد ان شاء الله . وهو مع هذا من اكذب الامة واوضعهم لحديث وانصرهم لباطل . ومن علم رحمة الله ان كلامه من عمله قل الا فيما ينفعه ، ومن ايقن انه مسوئل عما الف وعمما كتب لم يعمل الشيء ، وضده . ولم يستفرغ مجهوده في تثبيت الباطل عنده . وانشدني الرياشي :

ولا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة ان تراه

وقال ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه

الفرق بين الفرق : « . . . فمن ضلالاته « الجاحظ » المنسوبة اليه  
منحكاه الكعبي عنه في مقالاته مع افتخاره به من قوله : ان المعارف  
كلها طبع وهي مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم . قالوا  
ووافق ثمة في ان لا فعل للعباد الا الارادة وان سائر الافعال  
تنسب الى العباد على معنى انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت  
بارادتهم . قال وزعم ايضا انه لا يجوز ان يبلغ احد فلا يعرف  
الله تعالى . والكفار عنده من معاند ومن عارف قد استغرقه حبه  
لمذهبه فهو لا يشكر بما عنده من المعرفة بخالقه ويصدق رسله . فان  
صدق الكعبي على الجاحظ في ان لا فعل للانسان الا الارادة  
لزومه ان لا يكون الانسان مصليا ولا صائما ولا حاجا ولا زانيا ولا  
سارقا ولا قاذفا ولا قاتلا لانه لم يفعل صلاة ولا صوما ولا حجا  
ولا زنى ولا سرقة ولا قتلا ولا قذفا . لان هذه الافعال عنده غير  
الارادة واذا كانت هذه الافعال التي ذكرناها عنده طباعا لا كسبا  
لزومه ان لا يكون الانسان ملئها شراب ولا عقاب لان الانسان  
لا يثاب ولا يعاقب على ما لا يكون كسباله كما لا يثاب ولا يعاقب  
على لونه وتركيب بدنه اذا لم يكن من كسبه »

هداما استنتجه البغدادي وما كنا لنا به لهذا الاستنتاج لولا

جملة قائلها الجاحظ يشتم منها رائحة الاباحية هذا نصها نقلًا عن معجم الادباء لياقوت: « قال الجاحظ مرة بمحضرة السدري : اذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت . . . . . فقال له السدري وكيف ؟ قال لانها تأخذ الدرهم وتمتع بالناس والطيب وتختار على عينها من تريد والتوبة معروضة لها متى شاءت . فقال له السدري فكيف عقل العجوز حفظها الله ؟ قال هي احق الناس باقلهم عقلا » على ان ذلك قد يحمل على محمل الهزل والدعابة . ومهما يكن فالجاحظ امام من ائمة المسلمين له اراء انفراد بها في الكلام ومذهبه في ذلك التوفيق بين العقل والنقل ولا يضره بعد ذلك لوم المخالفين .

### شعره

نظم الجاحظ كثيرا اذا اعتبرنا شعره ركنا من اركان عبقريته او جزءا من اجزاء ادبه ، ونضل اذا عددناه دليلا من ادلة عظمته . لان الجاحظ لم يخلق شاعرا وانما نظم الشعر كما نظم غيره من العلماء والكتاب واللغويين والفقهاء والمؤلفين ، وتلك ظاهرة في الثقافة العربية عمت بلواها جميع من تذوق طعم العربية . خذ اي كتاب من كتب التراجم وارجع الى ترجمة اي رجل شئت ، فقيها كان او محدثا فيلسوفا او طبيا فانك واجد في

اعتقد ترجمته « ومن شعره قوله » .

هذا النوع من الشعر يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام شعر  
الكتاب وشعر العلماء وشعر الفقهاء . فالاول يكنى به عن حسن  
الصنعة واختيار الالفاظ وانسجام النظم كشعر ابن العميد  
والصاحب بن عباد . والثاني يكنى به عن جمع الامثال ومعالجة  
الحقائق العلمية وما وراء الطبيعة كشعر ابن دريد وابن سينا .  
والثالث يكنى به عن الغثاثة والبرودة .

اما شعر الجاحظ فمن النوع الاول ، وما اظن الباعث على  
نظمه الاخيلاء العلم والادب . يعني ان سعة روايته للشعر وغزارة  
مادته في الادب ورسوخ قدمه في العلم وقوة طبعه في التثمين  
له نظم الشعر وان لم يكن شاعرا ، وهكذا قل في اكثر  
الكتاب .

فمن شعره قوله :

يعيب اعمش ان يتلقى حليما

غذاء العلم والرأي المصيب

ليكشف عنك حيرة كل ريب

وفضل العلم يعرفه الاريب

سقام الخرص ليس له شفاء وذاك الخصل ليس له طيب  
وانشد المبرد لاحظظ :

ان حال لون الرأس عن لونه  
ففي خضاب الرأس مستمتع  
هب من له شيب له حيلة  
فما الذي يجتاله الاصلع  
ومن شعره في ابن ابي دواد :

وعويص من الامور بهيم قد تسنمت ما توغر منه  
غامض الشخص مظلم مستور بلسان يزينه التحبير  
مثل وشي البرود هلاله الندج وعند الحجاج در ثبير  
حسن الصمت والمقاطع اما نصت القوم والحديث يدور  
ثم من بعد لحظة تورث اليد بر وعرض مهذب موفور  
وقال يهجو الجمار بايات منها :

نسب الجمار مقصود ر اليه منتهاه  
لنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه  
وقال يمدح ابراهيم بن رباح :

بدا حين اترى باخوانه فقلل عنهم شباهة العدم

وذكره الدهر صرف الزمان  
فتى خصه الله بالكرامات  
ولا ينكت الارض عند السوال  
فبدر قبل ان تقال النعم  
فمازج منه الحيا بالكرم  
ليقطع زواره عن نعم

وكتب الى احمد بن ابي دواد :

لا تراني وان تطولت عمدا  
كلهم فاضل علي بمال  
فاذا ضمنا الحديث وبيت  
رب خصم ارق من كل روح  
فماذا رام غاييتي فهو كاب  
بين صفيهم وانت تسير  
ولساني يزينه التجبير  
وكأني على الجميع امير  
ولفرط الذكا يكاد يطير  
وعلى البعد كوكب مهور

وله :

بخدي من قطر الدموع ندوب  
ولي نفس حتى الدجى يصدع الحشا  
ولي شاهد من ضر نفسي وسقمها  
كأني لم افجع بفرقة صاحب  
وبالقلب مني مذ نأيت وجيب  
ورجع حنين للفؤاد مذيّب  
يخبر عني انني لكئيب  
ولا غاب عن عيني سوا الحبيب

وقال في ابراهيم بن رباح :

وعهدي به والله يصلح امره  
رحيب مجال الرأي منبلج الصدر

فلا جعل الله الولاية سبة عليه فني بالولاية ذو خبر  
فقد جهدوه بالسؤال وقد ابى به المجد الا ان يلبح ويستشري  
وقال في ابي الفرج نجاح بن سلمة يسأله اطلاق رزقه من قصيدة:  
اقام بدار الخفض راض بخفضه  
وذو الخزم يسرى حين لا احد يسرى  
يظن الرضى شيئاً يسيراً مهوناً  
ودون الرضى كأس امر من الصبر  
سواء على الايام صاحب خنكة  
وأخر كاب لا يرش ولا يبري  
خضعت لبعض القوم ارجو نواله  
وقد كنت لا اعطي الدنية بالقسر  
فلما رأيت القوم يبذل بشره  
ويجعل حسن البشر واقية الوفر  
ربعت على ضلعي وراجعت منزلي  
فصرت حليفاً للدراسة والفكر  
وشاورت اخواني فقال حلبيهم  
عليك الفتى المري ذا الخلق الغمر

اعبذك بالرحمن من قول شامت

ابو الفرج المأمول يزهد في عمرو

ولو كان فيه راغبا لرأيته

كما كان دهرا في الرخاء وفي اليسر

اخاف عليك العين من كل حاسد

وذو النود منخوب الفؤاد من الذعر

فان تدع ودي بالقبول فاهله

ولا يعرف الاقدار غير ذوي القدر

ومن شعره :

لئن قدمت قبلي رجال فطالما

مشيت على رجلي فكنت المقدما

ولكن هذا الدهر تأتي صروفه

فتبرم منقوضا وينقض مبرما

## درس ونملين

زمن اباعظ ؛ عوامن نبرغه ؛ موالهبه ؛ قبهه ارب واره .

ليس عجيبا ان ينبغ مثل الجاحظ في زمان الجاحظ ، فانه عاش في ازهر عصر من العصور الاسلاميه ، ودرج من البصرة عش اللغة والادب ، وقضى شطرا طويلا من حياته في بغداد عاصمة ذلك الملك الكبير واعظم مراكز العلم والادب .

شب الجاحظ في زمن الرشيد ، ذلك الخليفة العظيم الذي كان يجلس العلماء ويقربهم ، ويجالس الشعراء ويجود عليهم . وينبغ في ايام المأمون اعلم الخلفاء واشدهم انتصارا للحرية الفكرية ، واكثرهم تقديراً للعلم واهله .

في ذلك العصر الذي يتدي بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ وينتهي بوفاة الواثق سنة ٢٣٢ ، كانت الحضارة الاسلامية في ازهى عصورها ، قائمة على الاسس القومية التي جاء بها الاسلام ومحافظه على المروءة العربية مع اقتباس حكم من حضارة الفرس واليونان .

في ذلك الزمن نبغ ائمة الدين الاربعة مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل ، وفيه نبغ الفيلسوف الكندي ، ونبغ

من ائمة اللغة والادب الخليل بن احمد والاصمعي وسيبويه ، ومن كبار  
الشعراء بشر بن برد وابو نواس وابو تمامه الطائي . فلما اذا لا ينع  
مثل الجاحظ في الفصاحة والتمسك والانشاء في مثل ذلك  
الوسط الخصب .

نقدم الجاحظ وعصره كتاب اجلاء مثل ابن المقفع وعمرو  
ابن مسعدة واحمد بن يوسف واصولي وابن الزيات ، ولكن واحداً  
منهم لم يتح له ان يكون كاتب ذلك العصر ، ينفذ الى كل ناحية  
من نواحيه ، ويصور اخلاق اهله اصدق تصوير ، فبقي المـكان  
فارغاً حتى شغله الجاحظ .

اذا كان مقياس العقربية في الادب فهم الطبيعة البشرية  
وحسن التعبير عنها ، واذا كان مقياس نبوغ الاديب شدة  
ملاحظته وعمق تفكيره وكثرة توليده ، واذا كان معيار الادب  
تصوير الحياة تصويراً فنياً ، فالجاحظ اكبر كتّاب العربية من  
هذه الجهات الثلاث وصاحب الحق في ان يكون كاتب عصره .  
عاش الجاحظ في عصر كثرت فيه الفرق الدينية وفشت  
الآراء الفلسفية وتواترت النزعات القومية وختلفت الالهواء  
السياسية ، فخاض في ذلك العباب وكتب في التوحيد والقرآن

والمعتزلة والعمثانية والزيدية والرافضة . وكتب في التسوية بين  
العرب والعجم وفي القحطانية والعدنانية وفي الترك وفي البيضان  
والسودان . وكتب في بني امية وبني العباس .

وسرت الروح العلمية في شتى المواضيع فكتب في الحيوان  
والنبات والاقتصاد والطب والكيمياء .

واظل القوم في ذلك الزمن حضارة وارفة الظلال فتأنقوا  
في الملابس والمركب والمأكل والمشرب ومالوا الى الدعة والمهو  
واقنوا حسان الاماء وولعوا بالشراب والغناء ، فكتب في الترد  
والشطرنج والجواري والقيان والغناء والمغنين والنيذ وفضل  
الفرس على الهملاج .

ونتج عن ذلك ما ينتج عادة من مفسد المدنية فظهر الغش  
وفشت الدعارة والعهر وكثرت اللصوص والشطار وكثرت  
الحانات ، فكتب في غش الصناعات ودم النيذ ودم الزنا واثم  
السكر وحيل اللصوص واخلاق الشطار .

ومن هنا رمي الجاحظ بالتناقض واتهم بالتذبذب ، وفات  
منتقديه ان شأنه فيما كتب شأن المصور لا يلام اذا صور  
انسانا كما هو بل يلام اذا اغفل شيئا من تقاطيعه وملاحظه .

نعم انك كثيرا ما تجد للجاحظ رأيا في قضية ثم تجد له رأيا  
مناقضا للاول ، ولعل منشأ ذلك حكاية آراء الناس سلبا وايجابا ،  
او ان الرجل تعمق في فهم حقائق الاشياء حتى بلغ غاية حالت  
بينه وبين الجزم في الرأي ، او انه هازي بالآراء ساخر بالنظريات  
ينقض اليوم ما برمه بالامس .

لا يركن الجاحظ الى الخيال ولا يهيم في الاحلام  
الشعرية ، ولذلك ندرت في كتابته الاستعارة والكناية والتشبيه  
والمجاز ، فهو غني بصادق بيانه عن الاستعانة بعكاز البلاغة .  
ولكنه مع ذلك غير ملهم في المواضيع الشعرية ، اعطي جميع  
مواهب الكاتب الخلقية والكسبية ، واخطاه من مواهب الشاعر  
الخيال والالهام والاحلام . وسرعة الملاحظة وحدة الفطنة في  
الكاتب . وله منها اوفر نصيب . تقومان مقام الخيال والالهام  
عند الشاعر .

فسح الجاحظ للنثر العربي مجالا واسعا فمهد سبل التأليف  
في كثير من العلوم والفنون ومزج خشونة العلم بنعومة الادب  
واقطن في التهكم والدعابة .

سخر الجاحظ مبني على خفة روحه اولا ، واطلاعه على

العقائد والمذاهب ثانياً ، ودرسه اخلاق الناس ثالثاً . يطلب النكتة  
للاحماس ويرسلها هزواً ، بخرافات بعض الناس وعاداتهم ومواقفاتهم  
ومصطلحاتهم .

ما اظن ان اديب من العرب ادرك الغاية من الادب كما ادركها  
الجاحظ . فالادب الذي لا يمثل لك عصر صاحبه هو ناقص .  
واي ادب ادق تمثيلاً واحسن تصويراً لزمان صاحبه من  
ادب الجاحظ ؟

لو توفر اديب عصري على دراسة البقية الباقية من كتب  
الجاحظ لا يمكنه ان يستخلص منها تاريخاً مدنياً لذلك العصر  
المبارك ، فضلاً عن القصص والروايات التي تمثل حياة القوم اذ  
ذاك في اخلاقهم ومجالسهم وملايسهم ومذاهبهم الدينية والسياسية  
وجدهم وهزلهم وما الى ذلك من وجوه حياتهم . وما ذلك الا  
لان الجاحظ عرف زمانه واهله فمثلهما اصدق تمثيل وتلك من  
اكبر مزاياه التي تفرد بها .

.....

كان النقد في ادبنا لا يعدو سحمة اللفظ وحسن الصياغة ،  
وعلى هذه القاعدة انتقدت كتب الجاحظ واعطى الرجل حقه

من الاكابر وسكت عما سوى ذلك . على انني ارى ان الجاحظ  
في مواضعه التي اعلمها اعظم منه في سمو اسلوبه وعضوبة لغته ،  
فانه حاول ان يكتب عن كل شيء رآه او وعاه او سمع به وكان  
موفقا فيما حاول .

ليس في مواضع الجاحظ عناصر خيالية بل هي حقائق  
ملموسة يعمد اليها ببصيرة نافذة وفكر متوقد وفهم دقيق فيفصح  
عنها بافصح لغة واروع اسلوب فيجعلها محببة الى القاري ، وذلك  
هو الادب الحق يمدقك ويسرك .

فطر الجاحظ على دقة الملاحظة وهي تستدعي التقصي  
والاسهاب والاحاطة وحسن الوصف ، ورأى أن كل ما في هذه  
الحياة يستحق العناية والبحث - جدا او هزلا - فتناول  
مواضيع متناقضة ، وطرق ابوابا لا يطرق عادة مثلها مثله ، وعالج  
امورا قد تبدو لاول وهلة تافهة . فوفى كل بحث حقه  
وزاد وتطول .

نعم ان من بعض ارائه العلمية ما لا يقره العلم الحديث واكثر  
ما تجد ذلك في كتاب الحيوان ، ولكن كم رأيا في العالم بقي  
مسلمنا به منذ احد عشر قرنا ؟ على ان كتاب الحيوان كتاب

ادبي اكثر منه علمي .

.....

جرت العادة في النقد العربي ان لا تعالج جهة الابتكار في الاديب الا اذا كان شاعرا ، وذلك لسهولة الاهتداء الى المعنى المبتكر في الشعر العربي خاصة ، اذ ان كل بيت منه وحدة مستقلة ذات معنى قائم بنفسه ، فالعين نحوه اسرع والفكر اليه اهدى . وليس الشأن كذلك في النثر فقد يكون الابتكار النثري في فكرة وقد يكون في اختيار موضوع كما يكون في تبويبه او جمعه ، فاغفلوا بحث الابتكار في الكتاب ، وذلك من نواقص نقدنا ، والجاحظ مبتكر في الانشاء من حيث الانلوب والمواضيع ، فكل كتاب من كتبه حدث مبتكر بل فتح مبين في ادبنا ، ورسائله في ممتع البحوث معان ابيكار ما افترعها احد قبله .

لم يكن الجاحظ من اولئك العلماء الذين تنازلوا عن حقهم في التدبير والتفكير فنظروا الى المسائل من جهة واحدة بل كان ابعده نظرا وارجح رأيا يرى للقضية الواحدة عدة وجوه فيعالجها جميعها بروية وامعان من غير ان يخرج بها صدره او تضيق بها نفسه .

عاش الجاحظ في وسط نجم فيه قرن الشعورية والمكيد  
للعرب في دينهم وسلطانهم وتاريخهم فخاض هذه الغمرة وعالج  
أحداثها بما عرف عنه من الاستقصاء والتعمق، ولكن هواه  
كان مع العرب يرى تفوقهم بالكرم والمروءة والانفة والحمية  
ومنع الجار وأبى الضيم لا سيما في الشعر والخطابة .  
يرى المثل الأعلى في البلاغة شعر العرب ويفضله على بلاغة  
سائر الأمم لأنه جرى على سنتهم من غير عمل ولا تكلف . أما  
كلام النبي فهو جوامع الكلم فيه عبقة من الوحي الآتي  
محفوف بالعصمة والتأييد وهو الحكمة وفصل الخطاب . وسيمر  
بك شواهد على كل ذلك من كلام الجاحظ

.....

كان الجاحظ من المعجبين بابن المقفع وهو الذي نوه بذلك  
ودل على فضله . ولكنه لما يشأ أن يسلك طريقته في الأدب ،  
لأن الجاحظ رأى أفق الأدب أوسع من أن يقصر على حكم  
ومواعظ تستقيم في النظر وبتلوي أكثرها في العمل ، فمد بصره  
إلى أوسع من ذلك ورأى أن الأدب يتناول الحماقة كما يتناول  
الحكمة ، لأنه مرآة الحياة تعيها وكدها ، هزلها وجدها ، وحكمتها

وسخافتها الى آخر ما تشتمل عليه الحياة من المتناقضات  
فكتب ما كتب من شتى المواضيع ومختلف الابحاث .  
وكذلك فانه لم يبر حاجة لاختراع الاشخاص الخيالية  
واصطناع الازواع القصصية لتقريب المعاني الى الافهام واساغتها  
في الازواق ، شأن اصحاب المقامات من بعده . بل غشاها من  
ساحر بيانه بما جعلها فتنة القلوب والاسماع . والغريب ان اصحاب  
المقامات في قصصهم قصروا عن الجاحظ كثيرا في الترجمة عن  
الطبائع وتصوير الاخلاق مع انهم نصبوا انفسهم لهذا الغرض

لم يبغض الجاحظ بقية الامم حقها في العلم ولكنه كان يعتقد  
ان العربية اذ ذاك اغنى اللغات علما وادبا تفي بحاجة كل طالب  
في كل فن قال : « قل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة  
وقرأناه في كتب الاطباء والمتكلمين الا ونحن قد وجدنا قريبا  
منه في اشعار العرب وفي معرفة اهل لغتنا وملتنا »

ويزيد على ذلك انه كان يرى ان الحدق في غير العربية  
ينتقص فصاحة العربية ويتخون محاسنها لان النبوغ في لغتين  
متعذر قال : « ومتى وجدناه - الترجمان - قد تكلم بلسانين علمنا

انه قد ادخل الضمير عليهما لان كل واحدة من اللغتين تجذب  
الاخرى وتأخذ منها وتعرض عليها فكيف يكون تمكن اللسان  
منها مجتمعين فيه كما يمكنه اذا انفردت باواحدة وانما له قوة واحدة «  
ومن هذا نعلم انه لم يكن يري روعة البلاغة في الآداب  
الترجمة ، وذلك رأى جمهرة العرب الذين اقبلوا على ترجمة انواع  
العلوم ورضوا بالاخذ عن غيرهم الا في الشريعة والادب فانهم  
كانوا مومنين بان شريعتهم اكمل الشرائع وادبهم ارفع الآداب  
ولغتهم ابلغ اللغات .

هذا فصل اذا اضيف الى ما تقدمه من الفصول واضيف اليه  
امثلة وشواهد من كلام الجاحظ - وستراها بعد اسطر - امكن  
ان يعطيك فكرة عامة ويمثل لك صورة مجملية عن الجاحظ  
وسببته وادبه واثره .

## نصوص من كلام الجاهل

### اللسان

هو اداة يظهر بها البيان ، وشاهد يعبر عن الضمير ، وحاكم  
يفصل الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به  
الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وواعظ ينهي عن القبيح ،  
ومعز يبرد الاحزان ، ومعتذر يرفع الضغينة ، ومله يوق الاسماع ،  
وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل العداوة ، وشاكر  
يستوجب المزيد ، ومادح يستحق الالفة ، وموأسس يذهب الوحشة .

### العقل

ليس على ظهرها انسان الا معجب بعقله ، لايسره ان له  
بجميع ماله ماغيره . ولولا ذلك لماتوا كيدا ولذابوا حسدا . ولكن  
كل انسان وان كان يرى انه حاسد في شيء ، فهو يرى انه محسود  
في شيء .

## الكلام البليغ

ومتى شا كل - ابقك الله - اللفظ معناه ، وكان لذلك  
الرجال وفقا ، ولذلك انقدر لفظا ، وخرج من سماجة الاستكراه ،  
وسلم من فساد التكلف ، كان قد بحسن التوقع ، وحقيقا بانتفاع  
المستمع ، وجديرا ان يمنع صاحبه من تأول الطاعنين ، ويحمي  
عرضه من اعتراض العائبين . ولا تزال القلوب به معمورة ،  
والصدور به مأهولة .

ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه ، متخييرا من جنسه ،  
وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبيب الى النفوس ،  
واقصل بالاذهان ، والتجمل بالعقول ، وهشت له الاسماع ،  
وارتاحت له القلوب ، وخف على السن الرواة ، وشاع في  
الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم  
الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرريض . ومن اعاره من معرفته نصيبا ،  
وافرغ عليه من محبته ذنوبا ، خبت اليه المعاني ، وسلس له نظام  
اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع عن كد التكلف ، وراح قاري  
الكتاب من علاج التفهم .

## كلام النبي

عاب النبي صلى الله عليه وسلم التشديق ، وجانب اصحاب  
التعبير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع  
القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ،  
فلم ينطق الا عن ميزات حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف  
بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، والقي الله عليه من  
المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن  
الافهام والايجاز . ومع استغناؤه عن اعادته ، وقلة حاجة السامع  
الى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، بل يبد  
الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم الا  
بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج الا بالصدق ، ولا يطلب الفلج الا  
بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا  
يهمز ولا يلمز ، ولا يبطي ، ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر .  
وما سمع كلام قط اعم نفعاً ، ولا اصدق لفظاً ، ولا اعدل  
وزناً ، ولا اجمل مذهباً ، ولا اكرم مطلباً ، ولا احسن موقفاً ،  
ولا اسهل مخرجا من كلامه صلى الله عليه وسلم .

## جوامع كلمه

يجب للرجل ان يكون سخيا لا يبلغ التبذير ، شجاعا لا يبلغ الهوج ، محترسا لا يبلغ الجبن ، ماضيا لا يبلغ القحط ، قوالا لا يبلغ الهدر ، صموتا لا يبلغ العي ، حلما لا يبلغ الذل ، منتصرا لا يبلغ الظلم ، وقورا لا يبلغ البلادة ، ناقدنا لا يبلغ الطيش . ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع ذلك في كلمة واحدة وهي قوله : « خير الامور اوساطها » فعلمنا انه صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم وعلم فصل الخطاب .

## سحر البيان

قال بعض الربانيين واهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق ، ويبغض الاغراق في القول والتكلف والاجتلاب ويعرف اكثر ادواء الكلام ودوائه وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول وما يعرض للسامع من الافتنان بحسن ما يسمع : انذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام فان المعنى اذا اكتسى لفظاً حسناً واعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه

المتكلم قولاً متعشقا، صار في القلب احلى، والصدر املاء . والمعاني  
اذا كسيت الالفاظ الكريمة، والبست الاوصاف الرفيعة، تحولت  
في العيون عن مقادير صورها، وارتبت على حقائق اقدارها، بقدر  
، ازينت ، وعلى حسب ما زخرفت . والقلب ضعيف، وسلطان  
الهوى قوي ومدخل خدع الشيطان خفي .

## عدوى الاسفاف

اعلم ان المعنى الحقير الفاسد، واللفظ الساقط يعشش في القلب،  
ثم يبيض ثم يفرخ ثم يستفحل الفساد . لان اللفظ المهجين الردي،  
علق باللسان، وآلف للسمع، واشد اتحاما بالقلب من اللفظ النبیه  
الشريف، والمعنى الرفيع الكريم . ولو جانت الجهال والحمقى  
والسفهاء شهراً فقط، اكسبت من اوضار كلامهم، وخيال معانيهم،  
ما لم تكتسبه من مجانسة اهل البيان دهرًا . لان الفساد اسرع الى  
الناس واشد اتحاما بالطبائع، والانسان بالتعلم والتكلف، وبطول  
الاختلاف الى العلماء، ومدارسة كتب الحكمة، يوجد لفظه ويحسن  
ادبه . وهو لا يحتاج في الجهل الى اكثر من ترك التعلم، وفي فساد  
البيان الى اكثر من ترك التخير .

## العفو

من انتقم فقد شفى غيظ نفسه ، واخذ اقصى حقه ، واذا  
انتقمت ، فقد انتقصت ، واذا عفوت تطولت ، ومن اخذ حقه وشفى  
غيظه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر في العالمين فضله . وكظم الغيظ  
حلم ، والحلم صبر ، والتشفي طرف من العجز . ومن رضي ان لا يكون  
بين حاله وحال الظالم الا ستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، لم يجزم في  
تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم . ولم تر اهل النهي ،  
والمنسويين الى الحجب والتقى ، مدحوا الحكام بشدة العقاب . وقد  
ذكروهم بحسن الصفح ، وبكثرة الاغتفار ، وشدة التغافل .  
وبعد فالمعاقب مستعد لعداوة اولياء المذنب ، والمعافي مستعد  
لشكرهم ، آمن من مكافاتهم اياه قدرتهم .

ولان يثنى عليك باسراع الصدر ، خير من ان يثنى عليك  
بضيق الصدر ، على ان اقلتك عثرة عباد الله ، موجب لاقلتك  
عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم ، موصول بعفو الله  
عنك ، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك ، والموت الفادح ، خير  
من اليأس الفاضح .

## بلاغة العرب

كل شيء للعرب فانما هو بديهية وارتجال وكأنه الهام  
وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة وانما  
هو ان يصرف وهمه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين  
ان يمتح على رأس بشر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند  
صراع او في حرب . فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب  
والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتثال عليه  
الالفاظ انثيالاً ثم لا يقيد على نفسه ولا يدرسه احداً من ولده  
وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلمون وكان الكلام  
الجيد عندهم اظهر واكثر وهم عليه اقدر واقهر وكل واحد في  
نفسه انطق ومكانه في البيان ارفع . وخطباؤهم اوجز والكلام  
عليهم اسهل وهو عليهم ايسر من ان يفتقروا الى تحفظ او يحتاجوا  
الى تدارس وليس هم ممن حفظ علم غيره واحتذى على كلام  
من كان قبله فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم  
واتصل بعقولهم . من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب .  
وان شيئاً الذي في ايدينا جزء منه ، لبالقدر الذي لا يعلمه الا من

احاط بقطر السحاب وعدة اتراب ، وهو الذي يحيط بما كان  
والعلم بما سيكون .

ونحن - ابقاك الله - اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من  
التقصيد والارجوز ، ومن المنثور والاسجاع ومن المزدوج وما لا  
يزدوج ، فبعت العلم على ان ذلك هم شاهد صادق من الديباجة  
الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذي لا يستطيع  
اشعر الناس اليوم ولا ارفعهم في البيان ان يقول في مثل ذلك  
الا في اليسير والنبد القليل ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل  
الي في ايدي الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير  
مولدة ، اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هرون وابي عبيد الله  
وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان يستطيعون ان يولدوا مثل  
تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

واخرى انك متى اخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد  
الاعراب الخلف ، ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر  
مفلق ، او خطيب مصقع ، علم ان الذي قات هو الحق ، وابصر  
الشاهد عيانا .

فهذا فرق ما بيننا وبينهم ، ففتفهم عني - فهلك الله -

ما انا قائل في هذا ، واعلم انك لم تر قوماً قط اشقى من هؤلاء ،  
الشعبوية ، ولا اعدى على دينه ، ولا اشد استهلاكا لعرضه ، ولا  
اطول نصيباً ، ولا اقل غنماً من اهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور  
منهم طويل جثوم الحسد على اكبادهم ، وتوقد نار الشنان في  
قلوبهم ، وغليان تلك المراحل الفائرة ، وتسعر تلك النيران  
المضطربة . ولو عرفوا اخلاق كل ملة ، وزى كل لغة ، وعلمهم  
في اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهياتهم ، وما علة كل  
شيء من ذلك ، ولم اختلقوه ولم تكلفوه ، لاراحوا انفسهم ،  
وتخففت موءنتهم على من خالطهم .

## البكاء

البكاء صالح للطبائع ، ومحمود المغيبة اذا وافق الموضع ، ولم  
يجاوز المقدار ، ولم يعدل عن الجهة . ودليل على الرقة ، والبعد  
من القسوة ، وربما عد من الوفاء ، وشدة الوجد على الاولياء ،  
وهو من اعظم ما تقرب به العابدون ، واسترحم به الخائفون .  
قال بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبي له : لا تجزع  
فانه افتح لجرمه ، واصح ابصره . وضرب عامر بن عبد قيس بيده

على عينه فقال : جامدة شاحصة لا تئدى . وقيل لصفوان ابن محرز عند طول بكائه وتذكر احزانه : ان طول البكاء يورث العناء ، فقل : ذلك لها شهادة . فبكي حتى عمي . وقد مدح بالبكاء ناس كثير منهم يحيى البكاء وهيثم البكاء ، وكان صفوان ابن محرز يسمى البكاء .

## الضحك

ما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور الى ان ينقطع عنه سببه ، ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك ، لما قيل للزهرة والخبرة والحلي والقصر المبني كأنه يضحك ضحكا . وقد قال الله جل ذكره ( وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيي ) فوضع الضحك بجذاء الحياة ، ووضع البكاء بجذاء الموت ، وانه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ، ولا يمن على خلقه بالنقص .

و كيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شيء في اصل الطباع ، وفي اساس التركيب ، لان الضحك اول خير يظهر من انصي ، وقد تطيب

نفسه ، وعليه يثبت شحمه ، ويكثر دمه الذي هو علة سروره  
ومادة قوته . ولفضل خصال الضحك عند العرب ، تسمى  
اولادها بالضحك ويسام وبطلق وبطلق . وقد ضحك النبي  
صلى الله عليه وسلم وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا . واذا  
مدحوا قالوا هو ضحك السن ويسام العشييات وهش الى  
الضيف وذو اريحية واهتزاز . واذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح  
وهو قطوب وهو شميم الحيا وهو مكفر ابداء وهو كرية ومقبض  
الوجه وحامض الوجه وكأثما وجهه بالخل منضوح .  
والضحك موضع وله مقدار ، وللمزح موضع وله مقدار ،  
متى جازهما احد ، وقصر عنهما احد ، صار الفاضل خطيلا ،  
والتقصير نقصا . فالناس لم يعيبوا الضحك الا بقدر ، ولم يعيبوا  
المزح الا بقدر ، ومتى اريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذي  
جعل له الضحك ، صار المزح جدأ ، والضحك وقارا .

## الكتاب (١)

الكتاب وعاء مليء علماً ، وظرف حشي ظرفاً ، وإناه  
شحن مزاحاً وجداً ، ان شئت كان ايبن من سحبان وائل ، وان  
شئت كان اعبي من باقل ، وان شئت ضحككت من نوادره ،  
وان شئت عجبت من غرائب فرائده ، وان شئت الهتك طرائفه ،  
وان شئت اشجكت مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وبزاجر مغر ،  
وبناسك فاتك ، وبتاطق اخرس .

ومتى رأيت بستاناً بجمال في ردن ؟ وروضة تقلب في حجر ،  
وناطقاً ينطق عن الموتي ، ويترجم عن الاحياء . ومن لك بمونس  
لا ينام الا بنومك ، ولا ينطق الا بما تهوى ، آمن من الارض ،  
واكتم السر من صاحب السر ، واحفظ للوديعه من ارباب  
الوديعه .

ولا اعلم جارا ابر ، ولا خليطاً انصف ، ولا رفيقاً اطوع ،  
ولا معلماً اخضع ، ولا صاحباً اظهر كفاية ولا اقل املا لا وبرا ما

---

١ - هذا الفصل اوسع من ان تستوعبه هذه الرسالة فاخذنا منه ما  
يناسب المقام .

ولا اكثر اعجوبة وتصرفا ولا اقل تصلفا وتكلفا ولا ابعد من  
مراء من كتاب .

ولا اعلم نتاجا في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ورخص ثمنه  
وامكان وجوده ، يجمع من التداير العجيبة والعلوم الغريبة ومن  
آثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم  
الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار عن  
القرون الماضية والبلاد المتنازحة والامثال السائرة والامم البائدة  
ما يجمع لك الكتاب .

صامت ما اسكته وبلغ ما استنطقته ومن لك بمسامر  
لا يتديك في حال شغلك ويدعوك في اوقات نشاطك ولا  
يحوجك الى التجميل له والتدبير منه .

والكتاب هو الذي ان نظرت فيه اطال امتاعك ، وشجذ  
طباعتك ، وبسط اسانك وجود يبانك وفخم الفاظك ، ونجح  
نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام ، وصداقة الملوك .  
وعرفت به في شهر ، ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر ، مع  
السلامة من الغرم ومن كد الطلب ومن الوقوف بباب المكتسب  
بالتعليم ومن الجلوس بين يدي من انت افضل منه خلقا واكرم

عرفاء ومع السلامة من مجالسة البغضاء ، ومقارئة الاغبياء -

قال ابن الجهم : « اذا غشيني النعس في غير وقت نوم  
وبس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة . تناولت كتابا من كتب  
الحكمة ، فوجد اهتزازي للفوائد ، والاربعية التي تعزيني عند  
الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة  
اشد ايقاظا من هدة الهدم .

واذا استحسنت الكتاب واستجدته ، ورجوت منه الفائدة  
ورأيت ذلك فيه ، فلو تراني وانا ساعة بعد ساعة انظر كم بقي من  
ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قلبه . وان كان المصحف  
عظيم الحجم كثير الورق كثير العدد ، فقد تم عيشي وكل سروري »  
فالانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا يد من ان تكون  
كتبه اكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع العلم حتى يكون الانفاق  
عليه من ماله الذ عنده من الانفاق من مال عدوه ، ومن لم تكن  
نفقته التي تخرج في الكتب الذ عنده من عشق القيان لم يبلغ  
في العلم مبلغا رضيا ، وليس ينفع بانفاقه ، حتى يوتر اتخاذ  
الكتب ايثار الاعرابي فرسه بالهين على عياله ، وحتى يوهمل في  
العلم ما يوهمل الاعرابي في فرسه .

## سياسة الحزم

من لم يعمل باقامة جزاء السيئة و الحسنة ، وقتل في موضع  
القتل ، و احبى في موضع الاحياء ، و عفا في موضع العفو ، و عاقب  
في موضع العقوبة ، و منع ساعة المنع ، و اعطى ساعة الاعطاء ،  
خالف الرب في تدبيره ، و ظن ان رحمته فوق رحمة ربه . و قد  
قالوا : بعض القتل احياء للجميم ، و بعض العفو اغراء ، كما ان  
بعض المنع اعطاء . و لا خير فيمن كان خيره محضاً ، و شر منه من كان  
شره صرفاً ، و لكن اخلط الوعد بالوعيد ، و البشر بالعبوس ، و الاعطاء  
بالمنع ، و الحلم بالايقاع ، فان الناس لا يهابون ولا يصلحون الا على الثواب  
و العقاب ، و الاطعام و الاخافة . و من اخاف و لم يتبع و عرف بذلك  
كان كمن اطعم و لم ينجز و عرف بذلك ، و من عرف بذلك دخل عليه  
بحسب ما عرف منه ، فخير الخير ما كان ممزوحاً ، و شر الشر ما كان صرفاً  
ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده ، ان كان الله عز  
وجل اولى بذلك الحكم . و في اطباق جميع الملوك و جميع الائمة في  
جميع الاقطار و في جميع الاعصار على استعمال المكروه و المحبوب ،  
دليل على ان الصواب فيه دون غيره . و اذا كانت الناس انما

يصطلحون على الشدة واللين ، وعلى العفو والانتقام ، وعلى البذل والمنع ، وعلى الخير والشر ، عدد ذلك الشر خيرا ، وذلك المنع اعطاء ، وذلك المكروه محبوبا . وانما الشأن في العواقب وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو ادوم ومن الانقطاع ابعده .

## الفاظ الزنادقة

الزنادقة اصحاب الفاظ في كتبهم واصحاب تهويل ، لانهم حين عدموا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل ؛ ملوا الى تكلف ما هو اخصر وايسر واوجز كثيرا . ولكل قوم الفاظ خطيت عندهم ، وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام مشور وصاحب كلام موزون ، فلا بد من ان يكون قد لهج والف الفاظا باعيانها ليدبرها في كلامه وان كان واسع العلم عزيز المعاني كثير اللفظ . فصار حظ الزنادقة من الالفاظ التي سبقت الى قلوبهم ، واتصلت بطبائعهم ، ووجرت على لسانهم ، التناكح والنتائج والمزاج والنور والظلمة والدفاع والبقاع والساتر والغامر والمنحل والبطلان والوجدان والاثير والصداق وعمود الصبح ، واشكال امن الكلام نصا ، وان كان غريبا من فوضى ، مهجورا عند اهل ملتنا ودعوتنا

## الصوت

امر الصوت عجيب ، وتصرفه في الوجود عجب ، فمن ذلك ان منه ما يقتل كصوت الصاعقة ، ومنه ما يسر النفوس حتي يفرط عليها السرور فتتلاق حتي ترقص ، وحتى ربه يرمي الرجل بنفسه من حلق وذلك مثل هذه الاغاني المطربة . ومن ذلك ما يكمد ، ومن ذلك ما يزيل العقل حتي يفشى على صاحبه كنعو هذه الاصوات الشجية والقرآت الملائحة ، وليس يعثرهم ذلك من قبل المعاني لانهم في كثير من ذلك لا يفهمون وقد بكما ما سر جويه من قراءة ابي الخوخ ، فقبل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال انما انكاني الشجا .

وبالاصوات ينومون الصبيان والاطفال والدواب تصرا آذانها اذا غنى المكاري والابل تصرا آذانها اذا حدا في آثارها الحادي وتزداد نشاطا وتزيد في مشيها . ويجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم التي يتخذونها له ، وذلك انهم يضربون بعصي معهم ويعططون فتقبل اجناس السمك شاخصة الابصار ، مصفية الى تلك لاصوات حتي تدخل في الحظيرة . ويضرب بالطساس

لطير وتصاد به ، ويضرب بالأسد وقد اقبلت فتروعها  
تلك الاصوات . وقال صاحب المنطق : الأييل تصد بالصغير  
والغنايه ، والصغير تسقى به الدواب ، وتتفر به الطير عن البذور .

## العرب

لم يكمنوا تجرا ولا صناعا ، ولا اطباء ، ولا حسابا ، ولا  
اصحاب فلاحه فيكونوا مهنة ولا اصحاب زرع لخوفهم صفار  
الجزية . ولم يكونوا اصحاب جمع وكسب ولا اصحاب احتكار إذ في  
أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من السنة الموازين ورووس  
المكاييل ولا عرفوا الدوائيق والتقراريط ، ولم يفتقروا الفقير المدقع  
الذي يشغل عن المعرفة ، ولم يستغنوا الغني الذي يورث البلادة ،  
والثروة التي تحدث الغرة . ولم يهتموا ذلا قط فيحيت قلوبهم ،  
ويصغر عندهم انفسهم . وكانوا سكان فياف وتربية العراء لا  
يعرفون الغمق ولا اللثق ( ١ ) ، ولا البخار ولا الفاظ ؟ ، ولا  
العفن ولا التخيم . اذهان حديده ، ونفوس منكرة ، فحين حملوا  
حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر و بلاغة المنطق وتشريف

( ١ ) الغمق الفساد من كثرة الانداء واللثق نحوه

اللغة وتصريف الكلام ، وقيافة البشر بعد قيافة الاثر ، وحفظ  
النسب ، والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانواء ،  
والبصر بالحيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع ،  
والاعتبار بكل محسوس ، واحكام شأن المناقب والمثالب ، بلغوا  
في ذلك الغاية وحازوا كل امنية . ويبيض هذه العنل صارت  
نفوسها كبر وهمهم ارفع وهم من جميع الامم افخر ولا يامهم اذ كر .

## الغناء

. انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة ، المحيطين بالامور  
معرفة ذكروا ان اصول الآداب التي منها يتفرع العلم لذوي  
الالباب اربعة ، فمنها النجوم وبروجها وحسابها الذي يعرف به  
الاقوات والازمنة وعليها مزاج الطبائع وايام السنة ، ومنها  
الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما اشبه ذلك ،  
ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الابدان  
وعلاج الاسقام وما يتشعب من ذلك ، ومنها اللحون ومعرفة  
اجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها واوزانها حتى تستوي على الايقاع  
وتدخل في الوتر .

ولم يزل اهل كل علم فيما خلا من الازمنة يركبون منهاجه  
ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة  
بدلائله ، خلا الغناء فانهم لم يكونوا عرفوا علله واسبابه ووزنه  
وتصاريقه ، وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من  
الفارسية والهندية ، الى ان نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه  
ومخرج الفاظه وميز ما قالت العرب منه وجمعه والفه ووضع فيه  
الكتاب الذي سماه العروض ، فلما احكم وبلغ منه ما بلغ اخذ في  
تفسير النغم والمحون فاستدرك منه شيئا ورسم له رسما احتذى  
عليه من خلفه واستمد من عني به . وكان اسحق بن ابراهيم  
الموصلي اول من حذا حذوه وامثل هديه ، واجتمعت له في ذلك  
آلات لم تجتمع للخليل بن احمد قبله ، منها معرفته بالغناء وكثرة  
استماعه ايام وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه  
ومنها حذقه بالضرب والايقاع وعلمه بوزنهما . والف في ذلك  
كتبا معجبة ، وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره ، فصنع  
الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى اصل مستحكم  
له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم ير احدا وجدسيلا الى الطعن  
عليه والعيب له . وصنع كثير من اهل زمانه اغاني كثيرة بها جس

طبعهم والاتباع لمن سبقهم .

ثم قال في فصل آخر : وعلى ان الغناء من الوجه الحسن

والبدن الحسن احسن ، والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن

الشهي اشهى . وكذلك الصوت الناعم الرخيم من الجارية

الناعمة الرخيمة . وكم بين ان تفدي اذا شاعريك الصرب مملوكك

وبين ان تفدي امتك ، وكم بين ان تسمع الغناء من فم تشتهي ان

تقبله وبين فم تشتهي ان تصرف وجهك عنه . وعلى ان ارجل

دخلاء على النساء في الغناء كما رأينا زجالا ينوحون فصاروا دخلاء

على النوائح . وبعد فايما احسن واملح واشهى واغنج ؟ ان

يفنيك فحل ملتف اللحية كثر العارضين او شيخ منخلع الاسنان

مفضن الوجه ، ثم يفنيك اذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كل كل خالد

فأقبلت اسعى كالعجول ابادر

ام ان تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس او كأنها با ممينة او

كأنها خرطت من ياقوتة او من فضة مجلوة بشعر عكاشة

ابن معصن :

من كف جارية كان بناتها من فضة قد طوقت عتبا  
وكان يندها اذا نطقت به القت على يدها الشمال حسبا

## النبيذ

هو مستراح قلبك ومجال عقلك ومربيع عينك وموضع  
انسك ومستنبط لذتك وينبوع سرورك ومصباحك في الظلام  
وشعارك من جميع الاقسام . وكيف وقد جمع ابنة الجلال  
ورشاقة الخلال ووقار البها وشرف الخير وعز المجاهدة ولذة  
الاختلاس وحلاوة الزبيب .  
وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه وفضيلته على غيره لان  
النبيذ اذا تمشى في عظامك والتبس باجزائك ودب في جنبائك  
منحك صدق الحس وفراغ النفس ، وجعلك رخي البال واسع  
الذرع قليل الشواغل قريح العين واسع الصدر حسن الظن . ثم  
سد عليك ابواب التهم وحسن دونك الظن وخواطر الفهم  
وكفك موءونة الحراسة وانه الشفقة وخوف الحدثن وذلل الطمع  
وكدد الطلب وكل ما اعترض على السرور وافسد اللذة وقاسم  
الشهوة واخلى بالنعمة . وهو الذي يد الشيوخ في طبائع الشبان

ويد الشبان في نشاط الصبيان، وليس يخاف شاربها الا بمجوزة  
 السرور الى الاثر ومجاوزة الاثر الى البطر . ولو لم يكن  
 من اياديه ومنه ومن جميل الالة ونعمه الا انك ما دمت تمزجه  
 بروحك وتزوج بينه وبين دمك فقد اعفاك من الجد ونصبه  
 وحبب اليك المزاح والفكاهة و بغض اليك الاستقصاء والمحاولة  
 وازال عنك تعقد الحشمة وكد المروءة وصار يومه جمالا لا يام  
 الفكرة وتسهيلا لمعاودة الروية لكان في ذلك ما يوجب الشكر  
 ويطنب الذكر . مع ان جميع ما وصفناه واخبرنا به عنه يقوم  
 بايسر الجرم واقل الثمن . ثم يعطيك في السفر ما يعطيك في  
 الحضر وسواء عليك البساتين والجنان و يصلح بالليل كما يصلح  
 بالنهار ويطيب في الصحو كما يطيب في الدجن ويلذ في الصيف  
 كما يلذ في الشتاء و يجري مع كل حال، وكل شيء سواء فانما يصلح  
 في بعض الاحوال، ويدفع مضرة الخمار كما يجلب منفعة السرور .  
 وان كنت جذلا كان بارا بك وان كنت ذاهم نفاه عنك .  
 يسر النفوس ويحبب اليها الجود ويزين لها الاحسان ويرغبها في  
 التوسع ويورثها الغنى وينفي عنها الفقر ويملاها عزا ويعدها خيرا  
 ويمحسن المسارة ويصير به التبت خصبا والجناب مرعا وما هولاء معشبان .

وأيس شيء من الماء كحول والمشروب اجمع لمضرفاء ولا اشد  
تألفا للاذباء ولا اجلب للموءنين ولا ادعى الى خلاط الممتنعين  
ولا اجدر ان يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم ويطول به  
مجلسهم منه . وان كل شراب وان كان حلا ورق وصف وصدق  
وطاب وعذب وبرد ونفح فان استطبتك لاول جرعة منه كثير  
ويكون من طبائعتك اوقع ثم لا يزال في نقصان الى ان يعود  
مكروها وبلية الا النبيذ فان القدح الثاني اسهل من الاول والثالث  
ايسر والرابع الذوالخامس اسلس والسادس اطرب الى ان يسلسك  
الى النوم الذي هو حياتك واحد اقواتك . ولا خير فيه اذا كان  
اسكاره تغلبا واخذه بالرأس تعسفا حتى يبيت الحس بجذته  
ويصرع الشارب بسورته ويورث البهر بكظته ولا يسري في  
العروق اغلظته ولا يجري في البدن لركوده ولا يدخل في العمق  
ولا يدخل الصميم . ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويدعه  
ويخادعه فيسره ثم يهزه فاذا امتلا سرورا وعد ملكا محبورا  
خاتله السكر وراوغه وداراه وما كره وهائزه وغانجه وليس كما

يغتصب السكر (١) ويعتسف الذاذي (٢) ويفترس الزيب ولكن  
بالتقتير والغمز والحيلة وتحبيب النوم وتزيين الصمت .

## ذم النبيذ

من مثابه ان صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكالح وجهه  
عند شمه ويستنقص الساقى من قدره ويعتبر عليه مكياه ويمزجه  
بالماء الذي هو ضده ليخرجه عن معناه وحمده ثم يكرعه على المبادرة  
ويتجرعه ولا يكاد يسيغه اقل مكثه في فيه ويسرع على اللهوات  
اجتيازه . ثم لا يستوفي كياته ويرى ان يجعل عاقبة الشراب  
فضلة في قدحه ويشاح الساقى في المناظرة على ما بقي منه عند  
رده ايصرف عن نفسه اذية شربه ويذهب بساعته ويمنع من  
تهوعه .



١٥، السكر خمر التمر ٤٣، الذاذي نبت له حب كالشعير يوضع منه في  
الاناء فتعقب رائحته ويجود اسكاره قال الشاعر :  
شربنا من الذاذي حتى كانا ملوك لنا بر العراقين والبحر

## أمثلة من رسائل الجاحظ

كذب في الاعتذار

أما بعد فنعم البديل من إزالة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الأصرار ، وإن أحق من عطفك عليه بحلمك ، من لم يستشفع اليك بغيرك . واني بعرفتني بمبلغ حلمك وغاية عفوك ضمنت لنفسى العفو من ذاتها عندك ، وقد مسني من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك .

\*\*\*

قال إيهامظ : تشاغلنت مع الحسن بن وهب بشرب النبيذ .  
أياماً فطلبني محمد بن عبد الملك ( الزيات ) لمؤانسته فاخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب فتذكر لي وتلون علي فكتبت اليه رقعة نسختها :  
اعلذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى  
وصرف ما اعارك من القوة الى حب الانصاف ، ورجع في قلبك  
ايشار الاناة ، فقد خفت ايديك الله ان اكون عندك من المنسويين  
الى نزع السفه ، ومجانبة سبل الحكمة . وبعد فقد قال عبد  
الرحمن بن حسان بن ثابت :

وان امرءاً امسى واصبح سالماً

من الناس الام جنى لسعيد

وقال الاخر :

ومن دعا الناس الى ذمه

ذموه بالحق وبالباطل

فان كنت اجترأت عليك - اصلحك الله - فلم اجترىء

الا لان دوام تغافلك عني شبيه بالاهمال الذي يورث الاغفل ،

والعفو المتتابع يوم من من المكافأة ، ولذلك قال عبيدة بن حصن

ابن حذيفة لعثمان رحمه الله : ( عمر كان خيراً لي منك ، ارهبني

فأتقاني ، واعطاني فاغناني )

فان كنت لا تهب عقابي - ايدك الله خُدمة ، فهبته

لا ياديك عندي ، فان النعمة تشفع في النعمة ، والاتفعل ذلك لذلك

فعد الى حسن العادة ، والافاعل ذلك لحسن الاحدوث والافات مانت

اهله من العفودون ما انا اهله من استحقاق العقوبة . فسيحان من جه - ملك

تعفون المتعمد ، وتجافي عن عقاب المصمر حتى اذا صرت الى من هفوته

ذكر ، وذببه نسيان ومن لا يعرف الشكر الا لك والالانعام الامنك ،

هجمت عليه بالعقوبة . واعلم ايدك الله ان شين غضبك علي

كزين صفحك عني وان موت ذكري مع انقطاع سبي منك  
كحياة ذكرك مع اتصال سبي بك واعلم ان لك فطنة عليهم ،  
وغفلة كريم ، والسلام .

وكتب في الشوق

مضاه لي نهر ولا دجا ليل مذ فارقتك الا وجدت الشوق  
اليك قد حز في كبدي والاسف عليك قد اسقط في يدي  
والنزاع تمحوك قد خان جلدي . فأنا بين حشا خافقة ودمعة  
مهراقة ونفس قد ذبلت بما تجاهد وجوانح قد ابلت بما تكابد  
وذكرت وانا على فراش الارتماض ، ممنوع من لذه الاغتماض ،  
قول بشار :

اذا هتف القمري نازعني الهوى

بشوق فلم املك دموعي من الوجد

ابى الله الا ان يفوق بيننا

و كنا كما المزن شيب مع الشهد

لقد كان ما بيني زمانا وبينها

كما كان بين المسك والعنبر الورد

فانظّم وصف ما كنا نتعاشر عليه ونجري في مودتنا اليه ،

في شعره هذا - وذكرت ايضا ما رماني به الدهر من فرقة اعزائي  
من اخواني الذين انت اعزهم ويمتحنني بمن نأى من احبائي وخلصائي  
الذين انت احبهم واخلصهم ونجر عينه من مرارة نأيمهم وبعد  
لقاءهم ، وسألت الله ان يقرن آيات سروري بالقرب منك ، ولين  
عيشي بسرعة اوتتك وقلت اياتا تقصر عن صفة وجددي وكنه  
ما يتضمنه قلبي وهي :

بجدي من قطر الدموع ندوب

وبالقلب منى منذ نأيت وجيب

ولي نفس حتى اللجى يصدع الحشا

ورجع حنين نفوس مذبذب

ولي شاهد من ضر نفسي وسقمها

يخبى عني اني لكئيب

كأنني لم افجع بفرقة صاحب

ولا غاب عن عيني سواك حبيب

وله من كتاب الى ابن الزيات :

لا والله ما عالج الناس داء قط ادوى من الغيظ ولا رأيت

شيئا هو انفذ من شماتة الاعداء ولا اعلم بابا اجمع لخصال المكروه

من الذل . ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجوه والمبتلى ما دام يجد من يرثي له فهو على سبب درك وان تطاوت به الايام . فكم من كربة فدحة وضيقة مصمتة قد فتحت اقفالها وفككت اغلالها ومهما قصرت فيه فلم اقصر في المعرفة بفضلك وفي حسن النية بيني وبينك لا مشتت الهوى لا مقسم الامل على تقصير قد احتملته وتفريط قد اغتفرته . ولعل ذلك ان يكون من ديون الادلال وجرائم الاغفال ، ومهما كان من ذلك فلن اجمع بين الاساءة والانكار ، وان كنت كما تصف من التقصير وكما تعرف من التفريط ، فاني من شاكري اهل هذا الزمان وحسن الحال متوسط المذهب وانا احمد الله على ان كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين .



## امثلة من جمل الجاحظ تُجري مجرى الامثال

احذر من تأمن فانك حذر ممن تخاف .

قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ خير من كثير وافق من

الاسماع نبوة ومن القلوب ملالة .

عقل المنشي مشغول وعقل المتصفح فارغ .

ليس جهد البلاء مد الاعناق وانتظار وقع السيف لان

الوقت قصير والحين مغمور . ولكن جهد البلاء ان تظهر الخلة

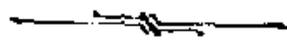
وتطول المدة وتعجز الحيلة ثم لاتعدم صديقا مؤنبا وابن عم شامتا

وجارا حاسدا ووليا قد تحول عدوا وزوجة مختاعة وجارية مستبيحة

وعبدا يحقرك وولدا يتمهرك .

خمس يضمنين : سراج لا بضئ ورسول بطيء وطعام

ينتظر به وابريق يسيل وبيت يكف .



# الفهرس

صفحة

	الجاحظ :
٣	حياته
٧	صفته
٨	مذهبه
٨	المعتزلة
١٠	الجاحظية
١١	سعة علمه و جلالة قدره
١٦	اسلوبه و خصائصه
٣٤	دعابته و فكاهته
٣٠	حسن محاضراته
٣٢	كتبه
٣٥	كتبه المطبوعة
٣٩	كتبه المخطوطة
٤٣	آثاره في دينه
٤٨	شعره
	درس و تحليل : زمن الجاحظ ، عوامل
٥٤	نبوغه ، مواهبه ، قيمة ادبه و اثره
	نصوص من كلام الجاحظ :
٦٤	اللسان
٦٤	العقل
٦٥	الكلام البليغ

صفحة	
٦٦	كلام النبي
٦٧	جوامع كلمه
٦٧	سحر البيان
٦٨	عدوى الاسفاف
٦٩	العفو
٧٠	بلاغة العرب
٧٢	البكاء
٧٣	الضحك
٧٥	الكتاب
٧٨	سياسة الحزم
٧٩	الفاظ الزنادقة
٨٠	الصوت
٨١	العرب
٨٢	الغناء
٨٥	النبيذ
٨٨	ذم النبيذ
	امثلة من رسائل الجاحظ :
٨٩	كتاب اعتذار
٨٩	كتاب استعطاف
٩١	كتاب تشويق
٩٢	كتاب شكر
٩٤	امثلة من جمل الجاحظ تجري مجرى الامثال